الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون- تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

فرع: دراسات أدبية تخصص: أدب حديث ومعاصر

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة بـ:

مكونات السرد التاريخي في أدب الرحلة

كتاب " تجارب في الأدب والرّحلة لأبي القاسم سعد الله نموذجا"

إعداد الطالبتين:

- دورمان فوزية
- بوقفحة مليكة

إشراف الدكتور:

يوسف يوسفي

اللجنة المناقشة:

د/ موازي الربيع	رئيسا
أ.د/ يوسفي يوسف	مشرفا ومقررا
أ.د/ شريفي فاطمة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1442/1443هـ/ 2021م/2022م

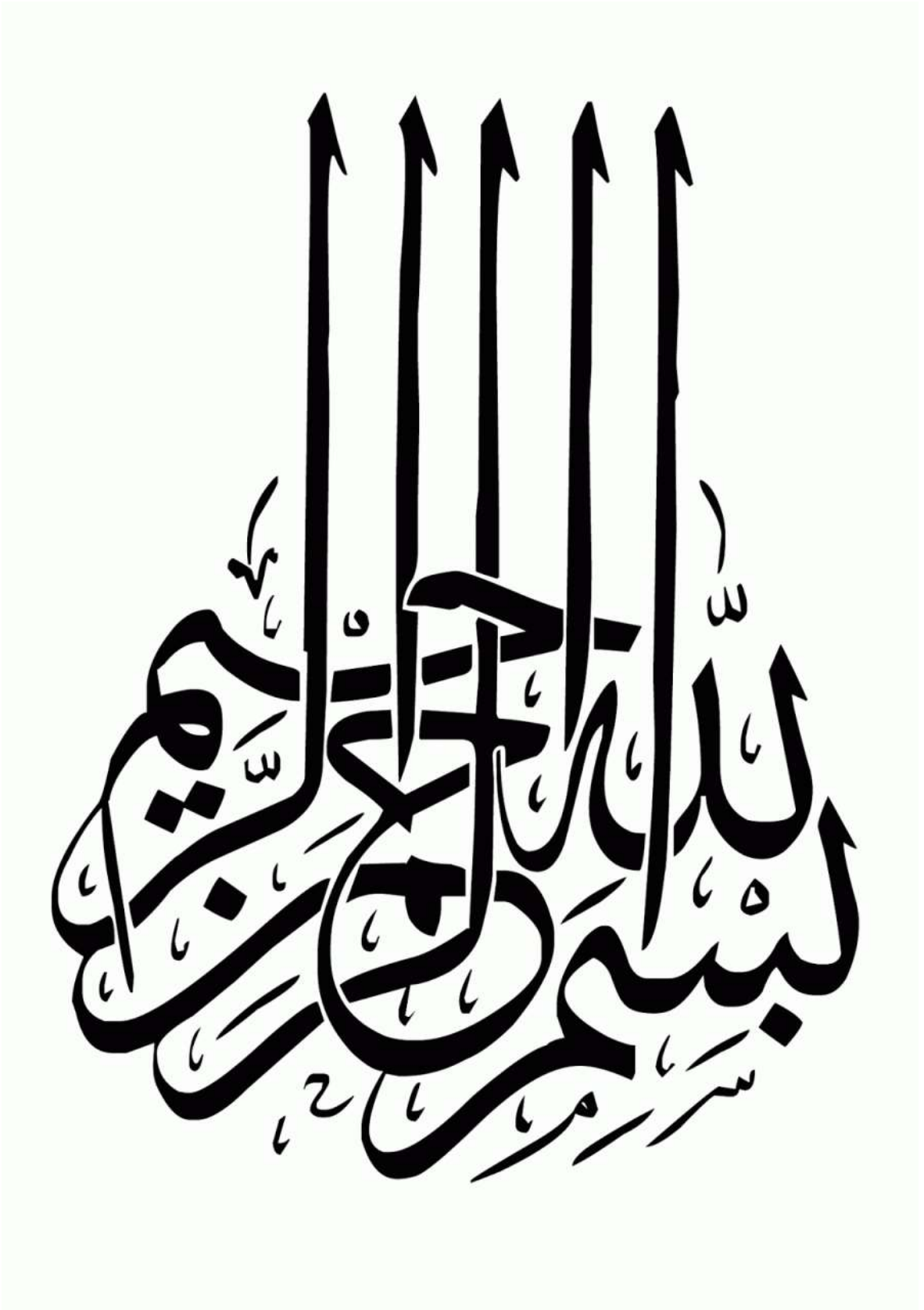
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله عـلى الكمـال والتمام، والحمـد لله إذْ وفقنا على إنجاز هذا البحث المتواضع وبعـد:

نتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى من خصّنا بالنصح والإرشاد، وتفضل علينا بقبول الإشراف على رسالة الماستر الأستاذ " يـوسف يوسفي" الذي سهل لنا طريقة العمل ولم يبخل علينا بالنصائح والتوجيه.

إلى كلّ من صحّح لنا وأرشدنا ووجّه، نتقدم لهم بأجزل الشكر والعرفان وأسمى عبارات الشكـــــر والتقديـــــر.

إهـــداء

نهدي هذا العمل المتواضع إلـى كلّ من كان لنا سندا وعونا وإلى كلّ يد مدّت لنا سبل النجاح ومهدت لنا طريق الفلاح.

إلى الأساتذة والطلبة ومن أسهم في مساعدتنا من قريب أو بعيـد.

إلـى كلّ الأحبّة والأصدقاء.

إلـى كلّ يد مدّت لنا يد العون والمساعدة وشكرا

مقدمـــة

مثّل الأدب الرّحلي في الدّراسات الأدبية موضوعا مهمّا في المجال النقدي والأدبي، فقد بات يشكل لوحده وثيقة تاريخية هامة حيث أسهمت في اكتشاف المناطق التي يستوطن فيها الإنسان إلى جانب دراسة طرائقهم الحياتية وتنوع ألسنتهم وأساليبهم، كما قادتهم تلك الرحلات والأسفار إلى الكشف عن الأماكن المجهولة في المعمورة، وعليه فإنّ أدب الرحلة يُعدُّ من أبرز الأجناس الأدبية ثراءً وغنى، فقد أسهم الرّحالون في نقل الصور والأحداث والوقائع والمشاهد الكثيرة عن البلدان التي شدّوا لها الرحال.

وعليه فإنّ أبا القاسم سعد الله ضمن هذا السياق نقل لنا بعض القضايا الأدبية والتاريخية في كتابته (تجارب في الأدب والرحلة) والتي ضمّت (رحلتي إلى المغرب) و (رحلتي إلى الجزيرة العربية)، فهو يُعدُّ من بين الشخصيات التي حملت راية هذا الفن النثري في المغرب العربي حيث كانت له تجارب في هذا المضمار لهذا كان موضوع بحثنا في رسالتنا هو التجارب والرحلات التي قام بها الدكتور سعد الله.

أمّا الأسباب والدوافع التي قادتنا لاختيار هذا الموضوع هي:

- أهمية الأدب الرحلي في الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة.

- إبراز جهود النقاد والأدباء في هذا الميدان ومدى تأثيره على الفنون الأدبية الأخرى.

- تأثرنا بشخصية أبي القاسم سعد الله ودراساته التاريخية والأدبية ما دفعنا الفضول لمعرفة المزيد عن حياته ورحلاته.

– الرغبة في إثراء المكتبة الجامعية بهذا العمل ولو كان متواضعا لغياب دراسة أكاديمية خاصة بشخصية أبي القاسم سعد الله.

– عزوف الكثير من الطلاب عن تناول المواضيع المتعلقة بشخصيات أبناء وطنهم ممّا دفعنا لتقديم هذا العمل وتبنيه.

أمّا الأهداف التي نركّز عليها من خلال هذه الدراسات هي:

– تبيان أهمية الأدب الرحلي وإحياء هذا الجنس الأدبي.

– إثراء الدراسات الأدبية في المكتبة الجامعية وسد الفراغ الذي يعاني منه أدب الرحلة.

وقد حاولنا من خلال دراستنا في هذه الرسالة الإجابة على عدة إشكالات وهي كالتالي:

– ما هي أهم مكونات السرد التاريخي الرحلي الذي ارتكز عليها خطاب الرحلة عند سعد الله؟ وكيف تمظهرت المكونات السردية من مكان وزمان وشخصية ووصف في رحلة سعد الله؟ وكيف وصف أماكن ترحاله؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اعتمدنا على خطة بحث ممنهجة تم من خلالها تقسيم البحث إلى مقدمة ثم مدخل وفصلين وخاتمة وملاحق، أمّا المدخل والموسوم بـ (أدب الرحلة النشأة والتطور)، وقد ركزنا الحديث فيه عن التعريف بأدب الرحلة ثم تطرقنا إلى إشكالية أدب الرحلة في الأجناس الأدبية ثم حددنا مسار أدب الرحلة ومراحل التطور ثم بيان دوافع وبواعث الرحلة مع ذكر أنواعها وخصائصها.

أمّا الفصل الأوّل فكان عنوانه البنية السردية في الخطاب الرحلي الحديث وقد قسمناه إلى مبحثين، الأول تحت عنوان (مكونات البنية السردية) والذي ضمّ مفهوم السرد وأنواعه ووظائفه ثمّ انتقلنا إلى ذكر مكوناته وعناصره كالأحداث والشخصيات والزمن والمكان...والوصف والحوار والأسلوب واللغة والاستطراد والفضاء....وغيره.

أمّا المبحث الثاني فقد وُسم بـ (أشكال التعبير وألوان القص في الخطاب الرّحلي) والذي اندرجت تحته العناصر التالية: – السيرة الذاتية – الحوار – التصوير – الخيال.

وقد خصّصنا الفصل الثاني للدراسة التطبيقية فكان حول كتاب أبي القاسم سعد الله (تجارب في الأدب والرحلة)، وقد أخذنا كنموذج لدراستنا رحلتيه (رحلتي إلى المغرب) و (رحلتي إلى الجزيرة العربية) فكانت دراسة حول مكونات السرد التاريخي في الرحلة، لينتهي عملنا بخاتمة والتي شملت أهم النتائج المتوصّل إليها ثم اتّبعنا هذه الخاتمة بملاحق وقد تضمنت سيرة الدكتور أبو القاسم سعد الله.

ولقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي التحليلي والذي يقوم بتحليل الظاهرة والوقوف على أسبابها ومكوناتها، كما تقيّدنا بنقاط أهمّها: عزو النصوص لأصحابها وعند حذف شيء لا يقتضيه المقام وضعنا مكانه نقاط...، وما ينقل وليس من كلامنا وُضع تحت علامتي التنصيص.

ولقد استفاد بحثنا هذا من الدراسات السابقة للأدب الرحلي خاصة في الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة منها بنية النص السّردي من منظور النقد الأدبي لحميد حميداني، وأدب الرحلة في الأدب

الحديث مكونات السرد لعيسى بخيتي، وقاموس السرديات جيرالديس ترجمة السيد إمام، إلاّ أنّ الجانب التطبيقي فركّزنا على كتاب أبي القاسم سعد الله نفسه ، تجارب في الأدب والرحلة.

أمّا العراقيل التي واجهتنا أثناء بحثنا تمثلت في شح الدراسات التطبيقية لمكونات السرد في الخطاب الرحلي والتي تُعدُّ بالنزر القليل بالنسبة للدراسات الأخرى وهذا ما وقفنا عليه خلال دراستنا لهذا الموضوع.

وفي الختام لا يسعنا إلاّ أن نتوجه إلى الله تعالى بالدعاء على ما منّه علينا في هذا البحث والذي مهد لنا الطّريق لإدراك ومعرفة شخصيات جزائرية وتجاربها، كما نتقدم بالشكر والتقدير إلى من مدّ لنا يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد وخاصة أستاذنا الدكتور يوسف يوسفي، كما نتوجه بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة على دورها ومجهودها في إثراء هذا العمل وتقويمه وتقييمه وآخر دعوانا أنّ الحمد الله ربّ العالمين.

تيارت 2022/06/06

الطالبتان: دورمان فوزية

بوقفحة مليكة

مدخل

أدب الرحلة النشأة والتطور

التعريف بأدب الرّحلة:

يُعدُّ أدب الرحلة من أبرز الفنون الأدبية التي تتميز بخصوصية عن باقي فنون القول الأخرى كالشعر والرواية وغيرهما من الفنون الأدبية، كما أنها لعبت دورا بارزا في التطور الحضاري والفكري للأمم على أمد العصور، وبناء على هذا نجد أن أدب الرحلة في الاصطلاح اللغوي يحمل بعض المفاهيم التي نجدها في كافة الموسوعات اللغوية العربية، حيث ورد لفظ الرحلة في معجم مقاييس اللغة لإبن فارس أنّ: " (رَحَلَ) الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مُضي في سفر، يقال رحل يرحل رحلة والرّحلة الارتحال ورحلّه إذا أظعنَه من مكانه"[1].

أمّا في لسان العرب لابن منظور فـ" رحل الرجل إذا سار ورحل رَحْوَلَ وقومٌ رُحَلٌ أي يرتحلون كثيرا ورجل رحّال: عالم بذلك ومُجيدٌ له والترّحل والارتحال : الانتقال والرحلة اسم للارتحال"[2]، "والاسم الرِّحلة والرُّحلة بالضم والكسر الوِجه الذي تقصد والسّفرة الواحدة"[3]، فالمعجم اللغوي لكلمة (رحل) تصب حول الانتقال والترحال والحركة من مكان لآخر، وهو ما يفسر أنّ الرحلة تكون دائمة ومستمرة، كما أن اللفظة تتقارب وتتلازم مع الكثير في المعنى اللغوي للسير والوجهة والمقصد، فالرحلة هي: " الحركة

[1] أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين بوعمر، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2005، ص 446.

[2] جمال الدين بن منظور الأنصاري، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005، ط1، ج6، ص370.

[3] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ضبطه يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2008، ص 204.

والانتقال اللذان يبعثان في الإنسان الحيوية والنشاط وتعود عليه بالمنافع الكثيرة في مختلف مجالات الحياة عكس السكون الذي يبعث على الجمود والخمول"[1] .

إشكالية أدب الرحلة:

يطرح موضوع أدب الرحلة إشكالات متعددة، إذ يعد من المفاهيم العصية على الامتثال إلى تحديد مفهوم دقيق يسلم له كل اقتراب قرائي لمدلوله، وهذا راجع طبعا إلى تعدد المجالات التي يصب فيها، والنص الرحلي التي يحويها في مضامين النصوص الأدبية كالسرد والحكي وغيرها من الأجناس الأدبية، ذلك أن هذا الفن الأدبي ظل مستوحش التصنيف داخل تراتبيات الأجناس الأدبية بوصفه جنسا شرودا وقد صرح الأديب تودروف بأنّ" مشكل الأجناس هو أحد أقدم مشاكل الشعرية وقد طرح منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا، فتعريف الأجناس وعددها والعلاقة المتبادلة بينها لم يتوقف النقاش حولها قط"[2]، ونجد في هذا الصدد الناقد الفرنسي رولان هيونان R, Le Huenen، من المتصدرين البارزين في هذا الفن الملتبس إلى تعريفه في مقدمة إحدى كتبه، بوصفه ينتمي إلى تلك الأجناس الهجينة، التي ليس في إمكان أيّة شعرية أن تخلص بتحديد حاسم لها.

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى القرن 4هـ، مكتبة الوفاء، القاهرة، مصر، 1995، ط1، ص23.

[2] Tz vetan todrov et or wald ducrot.dictionnair encyclopidique des sciences de langage. du seuil paris, 1972, p 193-1

نقلا عن محمد حاتمي في خطاب أدب الرحلة، مجلة فكر ونقد العدد 87، السنة التاسعة، مارس 2007، ص52.

وإذا كان التحديد الأجناسي يستقر من خلال ما تستنبطه القراءة التاريخية لتراكمات نصية ضمن أنساق محددة في مجال فني معين، فإنّ أدب الرّحلة باعتبار موقعه نوعي، القائم على أكثر من جنس أدبي يظلّ معضلة مستحكمة، ذلك أنّنا نقرأ أدب الرّحلة في قصيدة شعرية كرحلة الورتلاني مثلا.

وهذا الإشكال في تنوع المفاهيم لأدب الرّحلة أرجعها الكثير من النقاد إلى عوامل من أبرزها:

– غياب المفهوم الدقيق سواء عند الرّحالة نفسه أو عند اللّغويين.

– اتّسام رؤية الرحّالة بالوضوح أحيانا والالتباس أحيانا في معرفة الشكل الذّي سيسجل فيه رحلاته على سبيل المثال ابن بطوطة في مقدمة كتابه قال:" ونفذت الإشارة الكريمة بأن يملي ما شاهده في رحلته من الأمصار وما علق بحفظه من نوادر الأخبار"[1]، وجاء في رحلة العبدري قوله: " ... وبعد فإنّي قاصد إلى تقييد ما أمكن تقييده ورسم ما تيسر رسمه وتسويده ممّا سما إليه الناظر المطرق في خبر الرّحلة إلى بلاد المشرق من ذكر بعض أوصاف البلدان وأحوال من بها من القطان، حسبما أدركه الحسُّ والعيان وقام عليه بالمشاهدة شاهد البرهان"[2].

– انفتاح النص الرحلي على أشكال أدبية وغير أدبية يتفاعل معها في قالب متميز عن غيره من الإبداعات فيما يلي نقف عند بعض الارتباطات بين النص الرحلي وبعض الفنون الأدبية الأخرى.

[1] محمد بن عبد الله بن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1987، ط1، ج1، ص 32.

[2] محمد بن سعود العبدري، ماء الموائد، تحقيق علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق،2005، ط2، ص01.

– ومن العوامل كذلك ما يفرد النقّاد القدامى بابا للرّحلة يرصد تاريخها وقوانين تشكيلها ما عادا بعض الإشارات الواردة هنا وهناك، فمثلا ياقوت الحموي يصف رحلة ابن فضلان تارة بالكتاب وتارة بالقصة، كما أنّ المعاجم قد اكتفت بالإشارة ليس إلاّ ذلك أنّ تحديدها ظلّ ضيّقا، فقرّبوا مفهومها من قبيل اعتبار الرّحلة أشمل من السّفر.

ومع بروز السرديات والشعرية ورسوخ نظرية الأجناس الأدبية بدأت المفاهيم حول أدب الرّحلة تتحدّد بقوة ودقّة متناهية حيث عرّفها بعض النقاد على أنّها: " مجموعة الآثار الأدبية تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك و أخلاق لتسجيل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كلّ هذا في آن واحد"[1].

ومعنى هذا أنّ الرّحلة تتضمن السرد أو الوصف المجرد وعليه فإنّ أدب الرّحلة هو: " أدب يقوم على السرد القصصي يُضمنه الكاتب الرحّالة مشاهداته وانطباعاته في البلاد التّي يزورها، وهي تقوم على وصف الطبيعة الجغرافية، أو نبذا عن التّاريخ أو عادات النّاس وتقاليدهم وأنماط عيشهم وتفكيرهم، وهذه الأمور تكون في بعض الأحيان مرجعاً وثائقياً هاماً وموضوعاً للدّراسات المقارنة في مختلف المجالات الفكرية الأدبية والحياتية"[2].

[1] مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ط2، ص17.

[2] فواز الشعار، الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إميل بديع يعقوب، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1999، ط1، ص197.

فالرّحلة إذاً هي لون أدبي ذو طابع قصصي المبني على الوصفية أو السّردية، والحامل في طياتها مجموعة من المعارف والعلوم التي يستفيد منها الشخص في الجغرافيا وغيرها من العلوم، " لأنّ الكاتب يستقصي المعلومات والحقائق من المشاهد الحيّة والتّصوير المباشر"[1].

الرحلة المسار والتطور:

لقد أسهم العرب في تطور أدب الرّحلات إسهاما كبيراً عبر التّاريخ، فأبدعوا فيها، حتّى فاقوا غيرهم في السّبق إلى التّفنن فيها بأساليب الإبداع على مستوى بنيتها الشكلية والبنيوية، فوصفوا وصوروا لنا بذلك الأوضاع التّي عايشوها بأنفسهم طوال رحلاتهم، والتّي علتها تغيّرات وتطورات بدءً بالعصور الأولى وصولاً للعصور المعاصرة.

1- القرن الأول الهجري:

لقد كان اهتمام العرب في العهد الأوّل للإسلام بنشر الدّين الحنيف والدّعوة إلى الله تعالى داخل القبائل العربية، ثم توسعت الدّعوة خارج الجزيرة العربية، فاضطر المسلمون أن يجوبوا الأمصار للدعوة إلى الله تعالى فكانت في غالبها رحلات تجوس الديّار للتّعرف على مسالكها ومعالمها، فكان " لوصف المدن والبقاع أهميّة خاصة من النّاحية الاقتصادية فقد ساعدت الدولة الإسلامية في تحديد ثروة تلك البلاد ومعرفة قدرتها على دفع الجزية والخراج"[2]، وهذا يدل على أنّ الرّعيل الأوّل قد جابوا الأمصار، ووقفوا على المواقع والمعالم، بل قاموا " بوصف البلاد التي فتحوها كما دعاهم إلى ذلك الاستخبار عن الأمم

[1] حسين محمد فهيم، أدب الرّحلات، سلسلة عالم المعرفة 138، المركز الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1989، ص 17.

[2] إسماعيل العربي، دور المسلمين في تقدم الجغرافية الوصفية والفلكية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994، ص89.

السابقة ونقل علومهم ومعارفهم إلى العربية"[1]، فطافوا بأنفسهم في العالم الإسلامي وغيره وقيّدوا مشاهداتهم وما وقع تحت أبصارهم.

2- القرن الثالث الهجري:

وهذا العصر يُعدُّ عصر التّدوين والتّنوير إذ " انطلقت الرحلات شرقا وغربا منذ القرن الثالث الهجري، حتى الثامن الهجري بلا توقف تقريبا حتى تمكن الرّحالة تدوين كلّ ما رآه في كلّ أنحاء العالم المعمور آنذاك"[2]، " إذ استمر التّأليف فيها إلى أن أصبحت فنا أدبيا مميزا"[3]، وأوّل من بكر التأليف في هذا القرن (الكندي)، ثم أعقبه بعد ذلك ابن خرداذبة (232هـ/846م) في كتابه (المسالك والممالك)، ثمّ تلت هذا رحلة سليمان التاجر سنة (237هـ/851م) وهو من تجار بغداد جَالَ عبر المحيط الهندي والهادي إلى الصين والتي تلقاها مؤرّخ جغرافي يدعى أبو زيد السّيرافي، ونقلها عنه ومحّص روايتها وأضاف إليها معلومات كثيرة حول الصين، كما ظهر في هذا القرن الكثير من الرحالة الكتّاب ك ابن وهب القرشي الذي سافر إلى الصين سنة 257هـ، وأبو زيد البلخي.....وغيرهم.

3- القرن الرابع الهجري:

ومع بداية القرن الرابع الهجري، والذي يُعدُّ قمّة النّضج الفنّي لأدب الرّحلات التي زُخرفت بالكثير من المصنّفات البالغة الأهمية، وظهور العديد من مشاهير الرّحالة وأبرزهم: ابن فضلان سنة

[1] محمد أمين فرشوخ، موسوعة عباقرة الإسلام، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1996، ج1، ص 140.

[2] محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية، دار الكتب الوثائق القومية، القاهرة، مصر، 2007، ط1، ص17 .

[3] سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري الحديث، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 31.

(309هـ/921م)، إذ ألّف كتابا في رحلته واعتبره النّقاد خطوة طيبة نحو الاستقلال الذّاتي لأدب الرّحلة العربي لحسن السّبك وسلامة الأسلوب ودقّة الوصف، والرّحالة قدامة بن جعفر حيث صنّف كتاب (الخراج وصناعة الكتاب) وصف فيه العالم الإسلامي وما جاوره من الأمم والمماليك، كما نجد المسعودي (332هـ/944م) صاحب (مروج الذّهب ومعادن الجواهر)، وقد جمع فيه ما شاهده دون التّدقيق في الزّمان والمكان، حيث برّر في مصنّفه قائلا: " فإنّنا صنّفنا كتابنا في أخبار الزّمان وقدّمنا القول فيه هيئة الأرض ومدنها وعجائبها وبحارها وأغوارها وجبالها وأنهارها وبدائع معادنها وأصناف مناهلها وجزائر البحار والبحيرات الصّغار وأخبار الأبنية المعظمة ومساكن المشرفة وذكر شأن المبدأ وأصل النّسل"[1].

كما برز المقدسي بأعماله المتميزة التي تُعدُّ في قمة الذّروة التي بلغها العرب في وصف البلدان والعمران في مؤلّفه (أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم)، وفي أواخر القرن الرابع الهجري ظهر الرّحالة أحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي حينما ألّف للنّاس كتاب سمّاه (البلدان) معتمدا في ذلك على وصف " المملكة الإسلامية مبتدئا ببغداد وصفا منظما مع إصابة جديرة بالثّقة والإعجاب ولكنه لم يخطر له مع الأسف أن يؤلّف كتابه رحلة على الحقيقة ليصف فيها تجاربه الخاصة وأحوال النّاس وما لقيه في أسفاره"[2]، وكذلك أبو دلف الينبوعي (385هـ) في كتابه (عجائب البلدان)، وأبو حامد الغرناطي (473هـ) وكتابه (تحفة الألباب ونخبة الإعجاب).

[1] علي بن الحسن المسعودي، مروج الذّهب ومعادن الجواهر، دار الملكية العصرية، بيروت، لبنان، 2005، ط1،ج1،ص 03.

[2] آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي، دت، م ر و ك، الجزائر 1986،ج2، ص 455.

4- القرن الخامس الهجري:

يظهر في هذا العصر "البيروني" الذي جاب بقاعا كثيرة كالهند والسند، وقد ذكر أثناء رحلته حضارة الهند وجغرافيتها، والملاحظ أنّ في هذا العصر صار الرّحالة يُجمل في الأسلُوب ليقدم لنا طابعا سرديا وأسلوبا راقيا في الكتابة الرّحلي.

5- القرن السادس الهجري:

أمّا في القرن السّادس الهجري، فقد بدأت الرّحلة تنحو منحا آخر له ارتباط وثيق بالسيرة الذاتية، فاشتهر الرّحالة محمد الإدريسي بـ (نزهة المشتاق في احتراق الآفاق) والذي جمع فيه رحلاته في المغرب والأندلس واصفا أماكنها وكلّ ما يتعلق بها، فأسهب في ذلك إسهابا، ومن المبرّزين في هذا العصر لأدب الرّحلة أبو بكر محمد بن العربي (543هـ) والذي يُعدُّ الرائد فيها " نظرا لأهمية العمل الذي قام به والذي سنّ الخطوة الأولى في عملية تدوين أدب الرّحلات، فهو أوّل من وضع أسس فن الرّحلات"[1]، حيث كانت هذه الرّحلة على شكل مذكرات يومية معتمدا على الوصف بالمشاهدة مخالفا كلّ الأنماط الكتابية السّائدة آنذاك.

ونجد في هذا الصّدد كذلك محمد بن جبير (540هـ) في (تذكرة الأخبار عن اتّفاقات الأسفار) وكان قاصدا في هذه الرّحلة الحجّ، إلاّ أنّه قد دوّن تفاصيل تلك الرّحلة واصفا كلّ ما شاهده من عجائب البلدان والأمصار من العمران والمساجد والبساتين وحتى تقاليد وعادات النّاس في تلك البلدان،

[1] حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1983،ط2،ص13.

وقد استغرقت الرّحلة حوالي سنتين، ما جعلها سجلا تاريخيا في بيان أحوال الناس وأوضاع المسلمين الاجتماعية والاقتصادية فهو من " أوسع الرّحالين العرب ذكرا وأشملهم ملاحظات وأجملهم أسلوبا وأنقاهم تعبيرا وأعمقهم استنتاجا وإدراكا"[1].

وفي القرن السابع الهجري نجد أدب الرّحلات من نوع آخر فقد برزت شخصية (ياقوت الحموي) في (معجم البلدان) أين ذكر عدّة أماكن وبقاع من العالم العربي والإسلامي، مع ضبطه لأسماء البلدان وأسماء الأعلام، ولما نصل في نهاية القرن نجد أنّ الرّحلة قد بلغت ذروتها فاشتُهر رحّالة كثر كابن خلدون، وعبد اللطيف البغدادي والورتلاني والعبدري وبن بطّوطة التي تُعدُّ رحلته (تحفة النظائر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) في قمّة الأدب الرّحلي، فهي وثيقة تاريخية عن حياة الشعوب العربية وغيرهم من الأمم.

أمّا في القرن التاسع والعاشر الهجري فقد تميّزت الرّحلة عن باقي الرّحلات بسبب الأوضاع السّياسية والاجتماعية، لكن مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري (13هـ) بدأ الأدب الرّحلي يسترجع قوته وحيويته مع أدباء وكتّاب ظهروا في تلك الحقبة كرفاعة الطهطاوي وشهاب الدين الألوسي وغيرهم.

وأمّا العصر الحديث فقد شهد أبعادا ثقافية وسياسية لأدب الرّحلات، مع بروز طبقة من المثقفين الذين شدّوا الرّحال إلى بلدان شتّى للتّطلع والتّطور التي تشهده دول الغرب، فقاموا بوصف كل شيء خلال رحلاتهم وتدوين انطباعاتهم عن البلدان التي زاروها، وأحوال سكانها وتحليل الأوضاع السائدة فيها

[1] حسني محمود حسين، أدب الرّحلة عند العرب ص13.

مع القدرة الفائقة في الملاحظة والرّوعة في الوصف وجودة التصوير، وعلى هذا قامت الصحوة والنهضة العربية أي على أسس الرّحلي التي شهدتها عتبة القرن التّاسع عشر للميلادي، فرفاعة الطهطاوي قد دوّن رحلاته لأوروبا وجمعة في مصنّف أسماه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز)، حيث ضمّ في دفتيه سَفْرياته وجولاته وما رآه في أوروبا، ونجد أحمد فارس الشدياق (1887م) حيث سافر إلى بلدان عديدة وشاهد الحضارات الغربية والأمم المتطورة في كافة المجالات، فوضع كتابين في الرّحلة الأول سمّاه (الوساطة في معرفة أحوال مالطة) والثاني (كشف المخبأ عن فنون أوروبا)، وهذه الرّحلات أسهمت بدرجة كبيرة في الصّحوة العلمية، حيث شهد تطورا في الوعي الأدبي وبالأخص في التّصنيف الرّحلي إذ أنّه " برز هذا الفن بروزا واضحا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين"[1].

وفي مطلع القرن العشرين كثر الرّحالون العرب إلى أوروبا كأمين الريحاني (1940م) فهو يُعدُّ من كتّاب الرّحلة في الأدب العربي الحديث، حيث صنّف كتابا سمّاه (ملوك العرب) والذي سجل فيه جولاته للبلدان العربية وغيرها، كما أنّه زار المملكة العربية السعودية واصفا عاداتها وتقاليدها ثمّ جال بالمغرب ودوّن رحلته في مصنّف آخر وسمه بـ (المغرب الأقصى ونور الأندلس) وفي هذا المضمار نجد رحلة محمد الخضر حسين وأبي القاسم سعد الله وغيرهم كثُر.

[1] جبّور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، 1984، ط1، ص490.

بواعث أدب الرّحلة:

جُبل الإنسان على حبّ الترّحال والتنقل من مكان لآخر، والشغف بالأسفار ومعرفة ما يحيط به ولذا استهوى هذا الكثير من الكتّاب والرّحالة أن يصف الأماكن التي يراها أو التي يمرّ عليها أثناء تنقلاته وأسفاره، وممّا لاشك فيه أنّ هناك العديد من الدوافع والبواعث التي أسهمت في رحلات الإنسان وتنقلاته، ومن أبرز هذه الدّوافع هي:

1- الباعث السياسي:

ويقصد بهذه الرّحلة التّعرف على أحوال البلدان من النّاحية السياسية وحياة النّاس من حيث العادات والثقافات والتقاليد على غرار الرّحلات التي تكون عن طريق " الوفود والسفارات التي يرسل بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسّلام أو تمهيد لفتح أو غزو"[1] ، فهذه الرحلات تتم بين الدول أو الرؤساء أو عن طريق الوفُود والسفارات لأغراض شتى كتوطيد العلاقات أو التعاون الاقتصادي وغير ذلك، ومنها أيضا الرّحلات التّمويهية التّي تتستّر وراءها أسباب أخرى غير التي يعلنها الرّحالة، كما هو الحال بالنسبة لرحلة (التّجاني) التي أعلن الأمير فيها أنّه "يريد تفقد أحوال الدولة وأسرّ إلى من يثق بهم أنّه يريد الحجّ، بينما كان فيما يبدو يريد التجسس على أعدائه في حربه"[2].

وتشكل هذه الرّحلات أهداف يمكن أن نجملها تبعا لتلك الدوافع في ما يلي:

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، مصر، 2002، ط2، ص20.

[2] حسين نصار، أدب الرحلة، إشراف محمود علي مكي، دار نوبار للطباعة، القاهرة، مصر، 1991، ط1، ص47.

- توطيد العلاقات والسعي لتقارب بين البلدان والتعاون بينهما.
- التجسس على الأعداء ونقل المعلومات والأخبار المتعلقة بأحوال الأمم.
- التأريخ لأهم الأحداث السياسية والاقتصادية.

2- الباعث الديني:

الرّحلة الدّينية تقع ما بين هجرة أو جهاد أو حجّ، فالهجرة هي أول أشكال الرّحلة الدّينية التّي قام بها المسلمون إلى الحبشة فرارا بدينهم من كيد قريش وبطشهم، والهجرة الثانية هي هجرة النبي صلى الله عليه وسلّم من مكة إلى المدينة المنورة، وأمّا الحجّ فيقصد به السفر والرّحلة إلى الدّيار المقدّسة تلبية لنداء شعيرة الحجّ، وهي رحلة تعبدية " ولعل هذا الدّاعي هو الذي كان له قسمة الأسد في الرّحلة العربية عبر التّاريخ وإن كانت الرحلات الأخرى تقوم على الرّغبة في ممارستها فإنّ رحلة الحجّ رحلة تكليفية"[1]، وأثناء زيارته يصف الرّحالة أو الزّائر كلّ ما يقع عليه نظره من طرق وجبال وقرى وكثبان رملية ووديان، وكل ماله علاقة بجغرافية المكان.

فإلى جانب هذا قد يسرد الرّحالة جانبا من السّنن النّبوية وآثار السّلف، بل قد يطرح بعض القضايا الدّينية والمسائل الفقهية، إذا " فالحجّ إلى الأراضي المقدّسة وطلب العلم كانا السّبب في حبّ

[1] عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث مكونات السرد، دار هومة الجزائر، 2014، ط1، ص 29.

الارتحال على بُعد الشُّقة وعظم المشقّة كما كان حبّ الانتجاع والرّعي السّبب في التّنقل والارتحال للعرب والبربر على السّواء قديما وحديثا"[1] .

فالدّافع الديني من الأسباب القويّة للرّحلة سواء كان لقصد الحجّ وزيارة البقاع المقدّسة أو الرّحلة في الدّعوة إلى الله تعالى وتعليم الدّين الحنيف في شتّى بقاع العالم، إذ الدّاعية إلى الله تعالى قد يذكر حاجيات وتفاصيل مهمة أثناء رحلاته، ما يجعل من الرحلة سردا لسيرة ذاتية وهذا النّمط عُرف في المغرب العربي وأبرزها رحلة أبي راس الناصري الجزائري.

3- الباعث العلمي:

يُعدُّ العلم من البواعث الأولى في الرّحلة، وقد جاءت الرّحلة العلمية في قصة موسى عليه السّلام والخضر إشارة ربانية في ذلك، لمّا اصطحب كليم الله تعالى الخضر لغرض التّعلم، وهذا مقرر في السنّة النّبوية، وبما أنّ الرّحلة هي إحدى سبل التّعلم فقد شدّ الكثير من المسلمين الرّحلة في ذلك سعيا للعلم، وبذلك صارت الرّحلة منذ العهود الأولى للإسلام أشبه بالضرورة اللازمة في ذلك على الرّغم من المشاق والتكاليف المرهقة وبعد المسافات التي تحُف تلك الرّحلات إلاّ أنّها تُعدُّ من أبرز الرّحلات التي بها "يستلزم معرفة الأماكن والمناطق وإلى ذلك التفت العرب في تآليفهم الأولى في الجغرافية"[2]، لأنّ الرّحلة العلمية أسهمت في بلورة الفكر الإنساني وما يحيط به.

[1] محمد الصالح رمضان، من وحي الرحلة، دار الحضارة للطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، 2007، ص17.

[2] جورج غريب، أدب الرّحلة وتاريخه وأعلامه، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1979، ط3، ص27.

4- الباعث الاقتصادي:

تُعدُّ التجارة باب من أبواب الرزق والتّاجر يحتاج للتّنقل والسّفر أحيانا من أجل تنمية تجارته والسّعي إلى الرزق، والمجتمع المدني يسعى دائما لحاجياته وإلى الاستيراد والتصدير للسلع والبضائع التي تتوفر في بلاد أخرى أو " تنْدُرُ في بلد المسافر وقد تكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص واليسر والوفرة أو للعمل"[1]، والعرب تُعدُّ من الشعوب التي مارست التّجارة في القديم حيث كانت لهم الأسواق فتأتيهم السلع والبضائع من مختلف القبائل ومن شتى الأصقاع، بل كانت تجهز القوافل للرحلة في ذلك.

وهو ما دفع سكانها إلى ممارسة التجارة مع الأمم الأخرى، وهو ما عُرف قبل مجيء الإسلام برحلتي الشتاء والصيف، فالتجارة كانت ولازالت دافعا قويا للسفر والرحلات، ولعل أشهر تلك السَّفْريات في العهد الإسلامي المدونة في الكتب العربية رحلة سليمان التّاجر في القرن الثالث (3هـ) الهجري.

5- الباعث الاستكشافي:

عُرف هذا النوع من الرحلات في العهد العباسي، التي كانت ترسل البعثات الاستطلاعية من العراق إذ كانت لهذه الرّحلات العديد من الدّوافع إمّا قصدا لدراسة المناطق المجاورة التي لم تطأها أقدام العرب لمعرفة جغرافيتها، وهذا من أجل " تسهيل أعمال الحكم والإدارة أو لمساعدة الدّعاة على نشر

[1] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 20.

الدّعوة "[1]، وكانت البدايات الأولى للرحلة الاستكشافية، هو البحث عن العنبر وقد " أخبر أهل عدْن وشرمة وخاسك أنّه شيء تقذف به عيون في قعر البحر فيسوقه الموج إلى السّاحل صغيرا وكبيرا"[2]، الأمر الذي دفع الخلفاء في الدّولة العباسية ك (هارون الرشيد) وغيره من الأمراء إلى إرسال البعثات الاستطلاعية، وكان يدفع لهؤلاء الرحالين مقابلا جراء رحلاتهم الاستطلاعية كرحلة الحاج الدّين الأغواطي أثناء جولاته في الصحراء الجزائرية لاكتشاف جغرافيتها وحدودها إبّان الوجود الاستعماري.

كما أنّ بعض الرّحالة تدفعه حُبُّ " المغامرة نحو ارتياد المجهول واكتشاف الغريب عن المألوف ومنهم من كان بحركة البحث عن مصادر الثروة والمال وتحصيل المكاسب والحصول على بعض الجوائز"[3]، وهذا يبين أنّ الرحلات الاستكشافية ظلّت قصدا وكانت غرضا للقيام بها.

خصائص أدب الرّحلة:

يُعدّ الأدب الرّحلي من النّصوص النثرية المميز، نظرا لمكانته المرموقة في الثقافة العربية، ولما يتمتّع به من الخصائص والميزات التي تعددت في الأدب الرّحلي من خلال مغامرات العرب في اكتشاف جغرافية العالم عن طريق السفر والترّحال بين المناطق والأمصار، وقد تعددت خصائص أدب الرّحلة وهذه بعضها:

- توظيف الأسلوب القصصي في النّصوص الرّحلية.

[1] ثريا شرف، الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1993، ص50.

[2] إسماعيل العربي، دور المسلمين في تقدم الجغرافية الوصفية والفلكية ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 115.

[3] محمد بن محمد، الرّحلات الاستكشافية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2003، العدد 20، ص158.

- يستخدم الرّحالة الأسلوب الوصفي أو السّردي مع توثيق أهم الأحداث والزمان والمكان والمناطق التي مرّ عليها.
- تضمين الشعر العربي القديم في نصوص الرّحلة لتوثيق الأحداث وتأكيد الوصف الذي قام به الرّحالة.
- يهتم بتسجيل المعلومات الجغرافية حول المناطق الجديدة.
- وصف المراحل التي مرّ بها بشكل كبير لإيضاح المعالم والأماكن التي تمّت زيارتها.
- هيمنة بنية التنقل والسفر التي تؤطر الأحداث وتنظمها.
- يعتمد فيه على أسلوب الترغيب والتشويق.
- يُعدُّ أدب الرّحلة أدب شمولي لما يحويه من الآداب والمعارف والعلوم، فهو غني بالمادة العلمية.
- حضور الذات (الرّحالة) حضورا بارزا.
- ذكر الطّرق والمواصلات في تلك المدن وسرد المعالم التاريخية المتعلّقة بتلك البلدان.
- الحكي بضمير المتكلم المفرد أو الجمع، مع وصف الأمصار والمدن وصفا دقيقا مفصلا مع نبذة تاريخية حول الشعوب التي سكنتها، مع ذكر عاداتهم وتقاليدهم ومذاهبهم وأديانهم.
- التركيز بدرجة كبيرة على وصف الطبيعة (الأنهار والوديان والجبال والبحيرات....).
- تصوير بعض ملامح حضارة ذلك العصر، والذين عايشوا وعاشوا تلك الحقبة الزمنية.

الفصل الأول:

البنية السردية في الخطاب الرحلي الحديث

المبحث الأول: مكونات البنية السّردية في الرّحلة

المبحث الثاني: أشكال التعبير وألوان القص في الخطاب الرّحلي

المبحث الأول: مكونات البنية السّردية في الرّحلة

السرد:

يتميز أدب الرّحلة عن باقي الفنون الأدبية الأخرى، كونه يعمد إلى تجسيد نصه السردي للخطاب الرحلي، فلا تنفصل الكتابة الرّحلية عن السرد ولا يمكن أن تستغني عنه، فهي تشكل مدونة سردية يتمخض من خلالها خطاب أدبي يتضمن عناصر مختلفة من مكونات السرد " والتي يتبين من خلالها الأسس العامة التي اعتمدها الرّحالون لإبراز ذواتهم اتجاه المتلقي"[1].

وهذا يدلنا على أنّ جسد الرحلة يتمثل في السرد الذي ينقله الراوي إلى المتلقي من حوادث ومواقف ويصوغها في أسلوب قصصي يعتمد فيه على الإثارة والتشويق في كثير من الأحوال، ويسعى لتقديمها بلغة أدبية ممتعة يمتزج فيها " السرد بالوصف هذا الأخير الذي أصبح مجالا خصبا يستوعب شهوة القص بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى شأنه في ذلك شأن النصوص السردية الأخرى كالرواية والسيرة والقصة الفنية وغيرها من أشكال التعبيرية السردية، وقد يفوقها سحرا وجاذبية لأنّه ينطوي على حقائق واقعية ولأنّ راويها (الرّحالة) هو صاحبها ومجرّبها والعارف بأحداثها المحيط بتفصيلاتها لأنّه عاشها بجماع فكره وأحاسيسه"[2].

والرحلة بلا شك تعرف عبر زمنها مسارا معينا، باعتبار أنّ الرحلة مرتبطة بالسفر الذي يقوم على التّرحال والتنقل من مكان لآخر وما السرد إلاّ إعادة لمسار الرحلة خطابيا، ومن هنا يتبين لنا أنّ السرد

[1] عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث مكونات السرد، ص 59.

[2] فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص 13.

هو أساس الخطاب الرّحلي، والذي يتمثل في النص السردي المصاحب للرحلة لأنّ النص السردي " تتعدد فيه أشكال البناء ومكوناته لأنّه نص حربائي تشبيها بما تتميز به الحرباء من تلون في الشكل إذ تأخذ خصوصية كل موضع تكون فيه ومثل ذلك النص الرّحلي شكله غير مقيد بقاعدة فهو لا يخضع لقالب نموذجي إنّما تتباين معالم بنائه من نص لآخر"[1].

وبهذا تغدو الرحلة بكل مؤشراتها ومكوناتها السردية كخطاب حكيا (سرديا) وكل حكي (سرد) يستلزم وجود ثلاثة أطراف هي (الذات المحكية) أي الساردة، والحاكي (الرحالة والسارد) وخطاب محكي (الحكاية والخطاب الرحلي)، ويؤكد شعيب حليفي على سردية أدب الرحلة فيرى أنّ " الرحلة تحضر في نصوص أدبية كعنصر مكون لبنيتها كالقصيدة والمقامة وسرود الأخبار ومجالس السمر وغيرها ثم ما لبثت أن أصبحت نوعا أدبيا قائما بذاته عندما بدأ تدوينها وكتابتها كنص سردي يحكي هذه التنقلات"[2]، وبالتالي انتقلت الرحلة من مكونها فعلا يتجسّد بحدوث الأفعال في زمان ومكان معينين إلى اعتبارها فعلا محكيا يختزل تجربة الفعل السابق ويدونه في شكل سرود بضمير المتكلم.

إنّ وجود ملامح القصة في أدب الرحلة قد أسهم كثيرا في رواج هذا اللون الأدبي قديما وحديثا إذ النفس تواقة إلى معرفة ما رآه وما عاينه واحتك به الرّحالة، إذا فالسرد يتّسع ليشمل كل الوقائع والأخبار والتراجم والأحداث والحكايات وغير ذلك " ليبدوا السرد انطلاقا من ذلك عبارة عن فعل لا حدود له

[1] عبد الرحيم المودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد، دار السويدي، أبو ظبي، 2006 ط1، ص 208.
[2] شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، رؤية، القاهرة، 2006، ط1، ص 120.

يتّسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية يُبدعه الإنسان أينما وُجد وحيثما كان"[1]، يعني أنّ السرد في تشكيله العام للخطاب قد طغى بإسهاب كبير نظرا لاعتماده على نقل الأحداث والأخبار والوقائع ومعالجة الأوضاع وتحليلها.

1- مفهوم السرد:

يتعدد المعنى اللغوي لمصطلح السرد في المعاجم اللغوية " والأصل في اشتقاق مصطلح السرد Narration أو Narrative هو الفعل Narre بمعنى يسرد ومعناه الأصلي التفسير والإخبار والتعليق على الأحداث"[2]، "والسرد يعني الموالاة وتتابع الحديث وعُرف أيضا سرد الحديث والقراءة تابعها وأجاد سياقها"[3]، والمعنى أنّ السرد هو جودة سياق الحديث والقراءة وتتابعها ومن خلال التّتبع والنظر في المعاجم اللغوية لمصطلح السرد نجدها قد اتفقت في معنى مشترك حيث أعطت معنى الفعل (سرد) التتابع وإجادة الحديث والسياق.

ويقصد به من الناحية الاصطلاحية أنّه " العملية التي يقوم بها الحاكي أو الراوي وينتج عنها النص القصصي المشتمل على اللفظ أي الخطاب والحكاية أي الملفوظ القصصي"[4]، كما أنّ " السرد أو القص هو الفعل الذي يقوم به الراوي أو السارد الذي ينتج القصة وهو فعل حقيقي أو خيالي ثمرته الخطاب"[5]،

[1] سعيد يقطين، الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1997، ط1، ص19.

[2] أحمد عبد الكريم الخفاجي، المصطلح في النقد الأدبي العربي الحديث (رسالة ماجستير في آداب اللغة العربية)، كلية التربية، جامعة بابل ، العراق، 2003، ص 25.

[3] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص 139 (مادة سرد).

[4] مخلوف عامر، التوظيف التراثي في الرواية الجزائرية، دار الأديب، الجزائر، 2005، ط1، ص 38.

[5] لطيف زيتوني، معجم المصطلحات نقد الرواية، دار النهار، بيروت، لبنان، 2002، ط1، ص 105.

فالراوي يعتمد على السرد كوسيلة لنقل الحادثة من صورتها الواقعة إلى صورة لغوية، فالسرد هو الطريقة التي ينتجها الحاكي لإلقاء فكرته إلى المتلقي والتأثير فيه، وطريقة السرد تختلف من راو لآخر استنادا على ما ذكرناه لأنّ عملية السرد تعتمد أولا على عمل مكون من أحداث وثانيا على طريقة يحكي بها ونسميها سردا ولا يمكن " للسرد أن يشكل خطابا مستقيما إنّما هو مساحة يمكن أن نعزل فيها عددا من خطوط النقاط أو المجموعات الملفتة للإنتباه"[1].

2- أنواع السرد:

يشكل السرد في الأدب العربي أبعادا مختلفة وأنواعا شتى تلعب دورا مهمّا في النص الرحلي وهما (السرد الذاتي والموضوعي)، وقد ميّز (توما تشفسكي) بين هذان النمطان (السرد الموضوعي Objectif) و(السرد الذاتي Subjectif)، " ففي نظام السرد الموضوعي يكون الكاتب مطالعا على كل شيء حتى الأفكار السردية للأبطال أمّا في نظام السرد الذاتي فإنّنا نتتبع الحكي من خلال عيني الراوي أو طرف المستمع المتوفرين على التفسير لكل خبر متى وكيف عرف الراوي أو المستمع نفسه"[2].

2-1- السرد الذاتي:

إذا كان الخطاب المحكي سردا واقعيا فهو بذلك يعتمد بالدرجة الأولى على نظام السرد الذاتي في تشكيل نمطه، والمقصود بالسرد الذاتي هو سرد الراوي المتكلم يعني " الشخصية الرئيسية أو البطل"[3]،

[1] حبيب مونسي، فعل القراءة النشأة والتحول، دار الغرب، وهران، 2000/ 2001، ص 183.

[2] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، دار المركز الثقافي العربي، المغرب،2000، ط3، ص 46.

[3] جيرالديس، قاموس السرديات، ترجمة السيد إمام، دار الميراث، القاهرة، مصر، 2003، ط1، ص24.

فالسارد هنا ينبئ عن الأحداث والوقائع التي تجري من حوله ويعطي لها تأويلا معينا للقارئ.

2-2- السرد الموضوعي:

يقصد به أن يكون الرّحالة " مقابلا للراوي المحايد الذي يتدخل ليفسر الأحداث وإنّما ليصفها وصفا محايدا كما يراها أو كما يستنبطها في أذهان الأبطال ولذلك يسمى هذا السرد موضوعيا لأنّه يترك الحرية للقارئ ليفسر ما يحكى له ويؤوله"[1]، يعني أن يترك المتلقي كامل الاستقلالية والصلاحية في تفسير الحكاية وتأويل ما سرده الراوي.

3- وظائف السرد:

للسرد وظائف تسهم في تحليل المواقف وتصوير الأحداث والوقائع عن طريق الآليات والأساليب السردية ووظائفه على نوعين: وظائف ضمنية وأخرى طارئة ويندرج تحت كل منهما وظائف أخرى.

3-1- وظائف ضمنية:

ورد في كتاب السرد العربي أنّ مفهوم الوظيفة الضمنية هي " تلك التي تتحقق في العملية السردية بصورة أوتوماتيكية سواء أوَعاها السارد أم لم يعها وسواء أقصدها أم لم يقصدها يتّضح لنا من كل ما سبق أنّ الوظيفة الأساسية للسرد هي النقل والإخبار والبيان"[2]، وقد ذكر (جيرار جينيت) وظائف أخرى للسرد قد أشار إليها بعض النّقاد، ومن بين هاته الوظائف:

[1] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص47.

[2] ابراهيم بحراوي، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات، دار العربية للعلوم، الجزائر، 2008، ط1، ص 96.

3-1-1- الوظيفة السردية:

وهي " نقل الخبر وتوصيله إلى طرف آخر فيتأكد بهذا الصّنيع الأداتي الوظيفي النفعي للظاهرة السردية التي تكرس في كل حالاتها أصلا أو مرجعا، الجانب الثاني هو النص السردي (القصة) وفيه ينظم السارد قوله ويحقق بذلك الوظيفة التحكيمية"[1]، ويشتمل هاته الوظيفة على قص الحدث والأخبار ونقلها إلى المحكي له من أجل النفع والفائدة.

3-1-2- الوظيفة التحكيمية:

وهي " التحكم في المروي وتنظيم جزئياته أي فنيات السرد (شفهيا أم كتابيا) التي تجسّد عملية التمثيل .....وأمّا الثالثة والمتعلّقة بالظروف أو المقام مهمتها شدُّ انتباه السّامع والمتلقي والتأثير عليه "[2].

3-1-3- الوظيفة الإبلاغية:

وهي " تتجلى في إبلاغ رسالة للقارئ سواء كانت تلك الرسالة الحكاية نفسها أو المغزى أخلاقي إنسانيا "[3]، هدفها الإبلاغ والإرشاد وتحمل دلالة الأخلاق الإنسانية.

3-1-4- الوظيفة الإيديولوجية:

" عادة ما تتضمن قصد السارد وما يرمي إليه في النهاية من بثّ نصه السردي التأثير في المتلقي وإقناعه وما قد يستلزمه ذلك من تغيير لقناعاته وتوجيهها ومع أنّ هذه الوظيفة مسكوت عنها في السرد

[1] ابراهيم بحراوي، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات ص97.

[2] المرجع نفسه، ص 97.

[3] سعيد الوكيل، تحليل النص السردي، المعارج لابن عربي أنموذجا، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998، ص 63.

الحديث في معظم الأحيان فإنّها على العكس من ذلك تكون مباشرة أحيانا كثيرة في القدرة التي تهمنا هنا"[1]، والسارد في هذا يفسر الواقع انطلاقا من معرفة شاملة وعامة مركزة غالبا في شكل الحكم.

3-2- الوظائف الطارئة:

يقصد بالوظائف الطارئة أن تمتزج " الوظائف الضمنية وتتداخل بشكل يصعب معه فصلها أحيانا وتتآلف في الوقت نفسه مع وظائف أخرى خارجية، وظائف طارئة ثقافية تستدعيها مقاصد تظهر من الآخر"[2]، ومن بين الوظائف الطارئة :

3-2-1-السرد الديني:

وهو " ما نعنيه بالسرد الديني هو ما يتعلق بالعقائد والأديان الوضعية منها ما تعلق قبل نزول الرسالات السماوية أو الإلهي بعد نزولها"[3]، يعني ما تعلق بالأساطير والخرافات والأحكام الدينية التي جاءت بها الشرائع الأخرى والدين الإسلامي.

3-2-2- السرد الاجتماعي:

" هو ما تعلق بالطقوس والعادات والتقاليد وما إليها من الممارسات الحياتية المختلفة"[4]، وهذه ضابطها وأساسها المجتمع.

[1] إبراهيم بحراوي، السرد العربي القديم (الأنواع والوظائف والبنيات)، ص 98.
[2] المرجع نفسه، ص 101.
[3] المرجع نفسه، ص 102.
[4] المرجع نفسه، ص 102.

3-2-3- السرد التوثيقي:

" تكرس هذه الوظيفة من وظائف السرد مثلها الوظيفة التعليمية المعرفية .....كما يتّضح من صفته هي الجمع والتوثيق أولا ثم التعليم بتقديم المثال والشاهد والبيان والدليل فيكون الخطاب السردي خطابا علميا معرفيا"[1].

4- عناصر السرد:

4-1- الشخصيات:

تُعدُّ الشخصية من أبرز العناصر التي يرتكز عليها البناء السردي، فهي التي تنهض بالحدث وتجعله ينمو عبر المسار السردي، فهي " حامل أحاديث المسرود وتحويلاتها"[2]، يقصد أنّها هي التي تبث الحركة في العمل السردي بدءً من أفعالها وأحاديثها التي بها يطرأ التحول والتّغير في مسار الأحداث لأنّها هي التي تسرد لغيرها أو يقع عليها سرد غيرها، وهي " بهذا المفهوم أداة وصف أي أداة للسرد والعرض"[3]، يعني أنّ الرّحالة في كتابته يتم غالبا تصوير الوقائع وتقديم معارف عن الذات وانطباعات عن الآخر وتكون إمّا عن طريق سرد الأفعال ووصف الأشخاص فرادى وجماعة.

[1] إبراهيم بحراوي، السرد العربي القديم (الأنواع والوظائف والبنيات)، ص131.

[2] رولان بارت وآخرون، شعرية المسرود، ترجمة عدنان محمود محمد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010، ص 104.

[3] عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب، وهران، 2005، ص119.

– التعريف بالذات: (التجربة الذاتية)

ويكون هذا التعريف باعتماد الأساليب المباشرة التي تفصح عن الصفات الخُلقية والخَلقية للرّحالة وخصائصه النفسية والفكرية من خلال تفاعل الزمان والمكان السارد والمسرود له.

– تصوير الآخر:

ويشمل جميع الشخصيات المحيطة بالرّحلة فقد يكونون أناسا مرافقين في الرّحلة أو قابلهم الرّحالة في طريقه أو بالمناطق التي قام بزيارتها.

4-2- الشخصية والشخص:

تعدُّ الشخصية أو الشخص أساس المكون السردي الأدبي في نظر جلّ الباحثين، ولهذا ذهب البعض إلى عدم التمييز بين الشخصية والشخص وعدُّو كل هذه المفاهيم شيئا واحدا وعلى رأس هؤلاء " جاسم الموسوي، ولويس عوص ومصطفى التواقي، وشوقي ضيف، بينما يذهب كل من عبد المالك مرتاض والصادق قسومة إلى التفريق بين مصطلح الشخصية (Personage) ومصطلح الشخص (personne) ولكل واحد منهما مبرراته"[1]، وهذا ما يؤكد أنّ هناك فروقات موجودة بين المصطلحين.

وقد أرجع الصادق قسومة عدم التمييز بين المصطلحين " إلى المعاجم اللغوية التي لم تُجمع على تعريف واحد للشخصية حيث حصرت بعض المعاجم الشخصية في الشخص الذي يتخيله كاتب الأثر

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، دار الغرب، وهران، 2005، ص 87.

أو الدور الذي يمثله الممثل"[1]، إلاّ أنّنا نجد بعض المعاجم اللغوية قد وسّعت المفهوم ليشمل حتّى الحيوانات فصارت الشخصية ما يمثل من شخوص وحيوانات في القصة أو الرّحلة، ولعل كثرة الصور والدلائل هو الذي جعل البعض يذهب إلى عدم التمييز بين الشخص والشخصية.

لكن الصادق قسومة " ميّز بين المصطلحين بأن جعل الشخص ذو هوية فعلية جاهزة معطاة أمّا الشخصية فهوية متخيّلة وهي ذات بناء أو ما يضطلع به المنشئ وإعادة بناء يقوم به قارئ معين بجمع سماتها وتكوينها تصورا"[2]. ويعلّق الدكتور مرتاض أنّ " ماذهب إليه الصادق قسومة إذْ جعل الشخص ما هو مرادف للإنسان، أمّا الشخصية فإنّها صورة فنية لشخص متخيل في عمل سردي يقوم على ابتكار الخيال المحض"[3].

5- أنواع الشخصيات:

فالشخصيات بلورت العمل السردي وشكّلت ملامح الأدب الرحلي، وعلى هذا نجد النقاد في دراستهم للشخصيات الأدبية قد اعتمدوا على التصنيف الكلاسيكي أي الرئيسية والثانوية، لكن بالمقابل هناك تصنيفات أخرى كالتي اعتمد عليها عبد المالك مرتاض في تصنيفه على ترجمة (ميشال زيرافا) لأنّ حسب رأيه مستوحاة من التراث العربي وهذا التصنيف هو كالآتي:

[1] قسومة الصادق، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس، 2000، ص 100.

[2] المرجع نفسه، ص 100.

[3] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص 85.

5-1- الشخصية المدورة:

يقصد بالشخصية المدورة هي التي " تشكل عالما كليا ومعقّدا في الخبر الذي تضطرب فيه الحكاية المتراكبة وتشع بمظاهر كثيرا ما تتّسم بالتناقض ..... لا تستقرّ على حال واحد..... مبتذلة الأطوار .....إنّها الشخصية المغامرة الشّجاعة المعقّدة...تكره وتُحب وتصعد وتهبط وتؤمن وتكفر وتفعل الخير كما تفعل الشر... وهي معادل مفهوماتي للشخصية النامية"[1] ، وهذه الصفات التي ذكرها (المغامرة، الشجاعة، الكفر، الحب....) تتّصف بها الشخصية المدورة.

5-2- الشخصية المسطحة:

وهي التي " تشبه مساحة محدودة بخط فاصل.... هي تلك الشخصية البسيطة التي تمضي على حال لا تكاد تتغير ولا تتبدّل في عواطفها ومواقفها وأطوار حياتها بعامة....وهي معادل مفهوماتي للشخصية الثابتة statique"[2]، يتّضح لنا من هذا النص أنّ الشخصية المسطحة تظل ثابتة ومحافظة على نمطها ولا يتغير فيها شيء من بداية الأحداث إلى نهايتها مع قيامها بسد الثّغرات الفنية وتفعيل الأحداث.

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص، 89/88.

[2] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص51.

– الضمير وعلاقته بالشخصية :

– ضمير المتكلم:

يقصد به حضور الراوي (السارد) في عملية الحكائي السردي والسارد هنا إمّا أن يكون " خارجا عن نطاق الحكي أو يكون شخصية حكائية موجودة داخل الحكي فالراوي هنا موجود داخل الحكي إمّا أن يكون شاهدا أو متتبعا لمسار الحكي ينتقل عبر الأمكنة أو شخصية رئيسية"[1].

والراوي في هذه الحالة يكون مشاركا في الأحداث ويستطيع أن يتدخل ببعض التعليقات في عملية الحكي وهذا عائد إلى المعرفة الشاملة التي يحيط بها السارد ويمتلكها لأنّ صَوغُ " العمل السردي عبر ضمير المتكلم يكون غالبا معادلا لإسقاط الذات على الموضوع أي النظر إلى الموضوع كما تراه الذات، وكما يقول (توماشفسكي) نتبع الحكي من خلال عيني الراوي"[2]، فالضمير (أنا) أو (نحن) في الرحلة يدل على الشخصية المحورية والمهيمنة على العمل السردي أي (السارد)، فالضمير (أنا) يحيل على الشخصية الواعية العالمة التي تمثل الحقيقة في كل القضايا والأحداث.

– ضمير الغائب:

يعتمد الراوي أو السارد في عملية الحكي على ضمير الغائب كأداة تساعده على السرد، والسرد عن طريق الضمير (هو) يجعله مجرد حاكي يلقي ما يراه ويسمع ويستخدمه كوسيلة لإبعاد الشكوك عن رحلته حتى تلقى الصّدى الواسع والمصداقية لدى المتلقي والسامع.

[1] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص49.

[2] عبد الله رضوان، البنى السردية، دار الكندي، 1995، ط1، ص 18.

5-3- الراوي:

يشكل الراوي بعدا مهما في السرديات وهيمنة عليها، فهو " ذلك الشخص الذي يروي الحكاية أو يخبر عنها سواء أكانت حقيقة أو متخيلة ولا يشترط أن يكون اسما متعينا فقد يتوارى خلف صوت أو ضمير يصوغ بواسطة المروي بما فيه من أحداث ووقائع"[1]، فالراوي الذي نجده في الرحلة هو الشاهد الذي يمكن مقابلته بالكاتب في الدراسات التقليدية حيث يكون صوت المؤلف وراء ستار اللغة وهنا يهيمن الراوي على مختلف جوانب الشخصية.

وللراوي وظائف متعددة منها: وظائف سردية، وظائف إفهامية، وظائف تأثيرية، وظائف وجدانية، وظائف وصفية، وظائف استشهادية، وظائف إيديولوجية.

5- 4- المروي:

" هو كل ما يصدر عن الراوي وينتظم لتشكل مجموع من الأحداث تقترن بأشخاص ويؤطره فضاء من الزمان والمكان وتُعدُّ الحكاية جوهر المروي والمركز الذي تتفاعل فيه كل العناصر حوله"[2].

5-5- الحدث:

يُعدُّ النص الرحلي عبارة عن كتابات يحكي فيها الراوي عن أحداث وقعت له في سفره، فالحدث مكون سردي ذو أهمية بارزة في الأدب السردي والذي أسهم في نقل الصور والمشاهد للمتلقي فهو "

[1] عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2005، ط1، ص07.
[2] المرجع نفسه، ص 08.

العمود الفقري لمجمل العناصر القيمة يشكل الحدث في الحكاية، كما أنّ الفعل في الجملة المركز الذي تنتظم حوله شبكة من العلاقات أو توزيع الأدوار من جانب يتمتع الفعل في الجملة بخصائص الزمن والصورة والطريق والشخصية وفق ذلك ربّما توجد هذه المجموعات في الحكاية"[1]

وهو مستمد من الحياة اليومية للرّحالة الذي يدون كل ما يراه ويحدث من حواليه دون حذف أو زيادة، وترتكز الأحداث على الزمن مسايرا لمجرياتها لأنّ " الحدث هو اقتران فعل بزمن"[2]، ما يؤكد على أنّ الحدث لصيق بالزمن ومرتبط به من أيّ عنصر آخر لأنّ حركة الأحداث تبحث عن زمن تنفس فيه عن نفسها فيصبح جزء هام من بنائها ولا يكتفي بالزمن فقط، بل يبحث عن مكان يتحرّك فيه السارد عندما يجسد الحدث فهو يتناسب مع طبيعة الحدث وهذا ما قرّره (عبد الحميد بورايو) في قوله: "الوظيفة لا تتحدد بالحدث فقط وإنّما بإيجاد علاقة بينهما (الزمن والحدث) وبين الشخصية التي يسند إليها الحدث"[3]، يعني الزمن والشخصية تتماشى مع الأحداث بصفة متلازمة لأنّه يؤرخ لحياته وحياة الأمم التي اتّصل بها،

وهذه الأحداث يمكن التقاطها عبر رحلات الرّحالة من خلال ثلاث محطّات مكونة لمسارها الكامل:

– **المحطة الأولى: مرحلة الانطلاق**: ونعني بها الإشارة إلى نقطة الانطلاق، والتي تعدّ بداية الرحلة غير أنّ الرّحالة أحيانا لا يذكر قصة انطلاقه في نصّه الرّحلي لكن يمكن استقراءها من خلال ذلك.

[1] بركات وائل، تقنيات السرد، عالم المعرفة، 2018، ص 32.

[2] محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها واتجاهاتها، منشأ المعارف، مصر، ص11.

[3] عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 62.

المحطة الثانية: مرحلة اليسار

وهذه المرحلة تُعدُّ من أهم مراحل الرّحلة إذ يتشكّل خطّها من نقطتين هما: نقطة الانطلاق ونقطة الوصول، وهذا ما نجده في رحلات أبو القاسم سعد الله عندما تطرق للحديث عن زمن سفره وظروف رحلته التي قادته إلى (نقع) بسوق أهراس أين جاب شوارعها وأخذ فكرة عن الحياة العامة فيها.

المحطة الثالثة: مرحلة الوصول

غالبا ما تكون من مكان انطلاقها إلاّ أنّه ليس بالضرورة أن يكون وصول الرّحالة إلى المكان المبتغى معيارا لتحديد زمن الوصول فربّما كانت تلك النقطة بداية لرحلة جديدة.

7-6- اللغة:

تعدُّ اللغة أداة التعبير المتاحة للراوي والسارد في نقل حكايته والتعبير عن أفكاره، أو لرسم الصورة المتخيلة في ذهنيته أو لنقل الإحساس الذي يختلج في صدره للآخرين حتى يمكنّهم من التجاوب معه ويسهل عليه تمرير رسائله وخطاباته، لذلك تبقى " اللغة هي الوسيلة التي بها ننقل إلى الغير أفكارنا ووجداننا"[1]، فاللغة هي الجسر الذي يعمل على بناء المعنى وتنظيم عمليات التصوير كما يشاهده ويحسه الرّحالة خلال أسفاره لكن دون المساس بمكونات السرد الأخرى، يعني دون أن تكون الكلمة هي البطلة داخل السرد لانّ اللغة " من حيث هي مفردات تنتظم في علاقات نحوية أولى مقومات البناء لكنّها

[1] عبد العزيز عبد المجيد، اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها، دار المعارف، 1986، ط1، ص 37.

ليست الوحيدة تتألف مع أنماط السرد وطرق الوصف وأساليب الحوار"[1]، وهذا يبين أنّ البنى اللغوية في العمل السردي ضرورية إضافة للعناصر الأخرى المكونة للسرد.

والحديث عن البنية اللغوية التي يستخدمها الحاكي أو الراوي في السرديات وخاصة في متن الرحلة يقودنا حتما إلى الحديث عن الأسلوب الذي يُعرف به الكاتب أو الرّحالة ويميّز بينه وبين غيره لأنّ " اللغة جواهر منثورة منشورة والأسلوب عقد منتظم منها"[2]، والأسلوب في هذا هو "مبدأ الاختيار ضمن إمكانات اللغة والألفاظ والتراكيب النحوية التي تصل أحيانا إلى درجة من الدّقة بحيث تستطيع التعبير عنها بالأرقام فنقرر مثلا قوة بعضها ونتتبع تطورها"[3] ، ومعنى ذلك أنّ "المتكلم أو الكاتب يستخدم اللغة استخداما يقوم على الانتقاء والاختيار ويركب جملة ويؤلف نصه بالطريقة التي يراها مناسبة"[4]، لأنّ الكلمات التي يستعملها الراوي لها بعد دلالي والمشحون بسياقات شتى سواء كانت اجتماعيه أو تاريخيه أوعادات المجتمعات وثقافتهم.

5- 7- الزمن:

يُعدُّ الزمن أحد الأعمدة التي يرتكز عليها العمل السردي للرحلة التي تعتبر وثيقة تاريخية لذكر التواريخ الشاملة لأحداث السارد، فهو عنصر مهم في تشكّلات البنى السردية وتحديد مفهومه متباين من دراسة لأخرى ومن مجال لآخر لأنّه حقيقة ذهنيه لا يمكن إدراكها إلاّ من خلال الأشياء المحسوسة، وقد

[1] صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2003،ط1، ص 123.

[2] عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم مسائلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب، وهران، 2003، ص 89.

[3] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 1996، ط1 ص 375.

[4] المرجع نفسه، ص 376.

يأخذ أبعادا شتى في الفلسفات المختلفة لأنّ " الزمن الأدبي هو غير الزمن الفلسفي أو النحوي أو الرياضي فهو زمن متسلط شفاف متوج في أشد الأشياء صلابة"[1] ونعني بالزمن الأدبي هنا هي " تلك المادة المعنوية التي يتشكل منها إطار كلّ حياة وحيز كلّ حقل وحركة"[2]، كما أنّ الزمن " ضابط الفعل وبه يتم، وعلى نبضاته يسجل الحديث ووقائعه"[3]، يعني أنّ الحدث والزمن متلازمان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر فهو عامل فعّال في تحريك وتطور العمل السردي للحكي فهو بمثابة العصا السحرية المتخفية خلف الأسطر والتي تلقي بفاعليتها على المكونات السردية فتقود النّص السردي إلى الغاية المنشودة.

ويحدد (ريكور) الزمن السردي على ضربين هما:

" الأول أنّه زمن التفاعل بين مختلف الشخصيات والظروف والثاني أنّه زمن جمهور القصة ومستمعيها وبعبارة وجيزة الزمن السردي في النّص وخارجه أيضا هو زمن الوجود مع الآخرين"[4].

وأكدّ (تودوروف) " T.Todorov " أنّ قضية الزمن في السرد إنّما تطرح بسبب التفاوت الحاصل بين الحكاية وزمن الخطاب وعين ثلاثة أصناف من الأزمنة:

– **زمن الحكاية**: وهي زمنيه تتمحص للعالم الراوي المنشأ وهي المدة الزمنية المتصورة.

– **زمن الكتابة**: ويرتبط بالفعل الذي يُحقق القصاص عبر تصور زمن الحكاية في الخطاب.

---

[1] عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 228.

[2] عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة، دار العربية للكتاب، ليبيا، 1988، ص 07.

[3] محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة، أصولها واتجاهاتها، ص 13.

[4] بول ريكور، الوجود والزمان والسرد، ترجمة سعد الغانمي، دار النشر المركز الثقافي الغربي، بيروت، لبنان، 1999،ط1، ص 29.

زمن القراءة: وهو الزمن الذي يصاحب القارئ وهو يقرأ العمل السردي.

5-8- الفضاء:

يُعدُّ الفضاء (المكان) ذُو أهمية كبيرة في تشكل البنية السردية فهو بمثابة القناة الرئيسية التي يحوي عناصرها، ولا تقل أهميته عن أهمية المكونات السرديه الأخرى، إذ يستحيل تناول أي دراسة تنصب على عمل سردي دون أن ينشأ عن ذلك المفهوم المكان في أي مظهر من مظاهره، ونظرا لارتباط المكان أو الفضاء بتقنية الوصف الزماني يمكن أن يأتي المكان عنصرا تابعا للزمان.

- مفهوم الفضاء:

نجد الكثير من المفاهيم اللغوية أو الاصطلاحية التي قُدّمت حول الفضاء أو المكان حيث ورد لفظ الفضاء في المعاجم اللغوية على أنّ " فضا ، الفضاء، المكان الواسع من الأرض، والفعل فضا، يفضوا، فضوا، والفضاء الساحة وما اتّسع من الأرض قال أبو بكر الفضاء ممدود كالحساء وهو ما يجري على وجه الأرض واحدته فضية، ويقال قد أفضينا إلى الفضاء وجمعه أفضية"[1]، ويعرّف الفضاء الحكائي على أنّه " المكان أو الأماكن المضمنة التي يظهر فيها كل من المواقف والأحداث والسياق الزماني والمكاني للحكي"[2]، فالفضاء هو ما ضم جميع الأمكنة والمواقف والأحداث وهذا ما يدل على أهميته وعلى أنّه عنصر مركزي في تشكيل العمل السردي.

لقد أخذ مصطلح الفضاء حيزا واسعا في النقد الأدبي، إذ يُعدُّ أحد أبرز القضايا الأدبية التي مازال مفهومها غير محدد الملامح، والذي ظلّ مجالا واسعا ومفتوحا للتصورات والآراء المتعددة التي لم تصل إلى

[1] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ط7،ج11، ص 194، (مادة فضا).

[2] أيمن بكر، السرد في مقامات الهمذاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998، ص 56.

حد بلورة نظرية عامه للفضاء أو إلى إقامة تصورات لها حد من الشمولية والكمال رغم كل المحاولات، بل ظلّت وجهات نظر تتأسس وفق قاعدة معينة، تقدمه أعمال محددة.

ونجد في هذا الصدد (حسن بصحراوي) الذي اعتبر الفضاء مطابقا للمكان حيث يتشكل عن طريق اللغة التي يبدعها المؤلف من خلال الكتابة ليشكل منه موضوعا لفكرة وهذا ما نجده في قوله: " إنّ الفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى لا يوجد إلاّ من خلال اللغة فهو فضاء لفظي بامتياز.... إنّه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتابة ولذلك فهو يتشكل كموضوع للفكر يخلقه الروائي بجميع أجزائه طابعا مطابقا لمبدأ المكان نفسه"[1].

إلاّ أنّ الدكتور عبد المالك مرتاض اعتبر ترجمة الفضاء ترجمة غير دقيقه التمثيل للمعنى الأصلي الأجنبي (espace) ونوه إلى مصطلح الحيز في قوله: " حاولنا أن نذكر في كل مرّة عُرْفَنا لهذا المفهوم.... مصطلح الحيز وليس الفضاء الذي يشيع في الكتابات النقدية العربية المعاصرة"[2]، إلاّ أننا نجد في هذا الصدد محاولات (غاستون باشلار) الذي يجعل المكان أكبر من كونه حيزا لأنه " مكون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى"[3] ما يعني أن المكان أكثر التصاقا بحياة الإنسان منذ لحظه وجوده في الحياة ذلك أنّ " إدراك الإنسان للمكان إدراك حسّي مباشر ولا يتحقق إلاّ من خلال علاقته به "[4].

[1] حسن بصحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1990، ط1، ص27.

[2] في نظرية الرواية عبد المالك مرتاض، ص 120.

[3] غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هاسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1984، ط2، ص 36.

[4] نبيلة إبراهيم، فن القصة بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، د/ت، ص 140.

وقد بين عبد المالك مرتاض تصوره في مسألة الحيّز مُعللا ذلك بقوله " ولعل أهم ما يمكن إعادة ذكره هنا حتى لا نكرر كل ما قرّرناه من ذي قبل قاصر بالقياس إلى الحيز لأنّ الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ، بينما الحيز لدينا ينصرف استعماله في النتوء والوزن والثقل والحكم والشكل... في حين أنّ المكان نريد أن يقفه في العمل الروائي على مفهوم الجغرافي وحده"[1]. فالحيز عنده أوسع وأشمل بينما الفضاء قاصر ومحدود لأنّه خواء وفراغ أمّا المكان فهو جزء لا يتجزأ من كلّ الوجود في حركته وسكونه.

وخلاصه الأمر أنّ الفضاء هو الحيز عند عبد المالك مرتاض إذ يُعدُّ " عالم دون حدود وبحر دون ساحل وليل دون صباح ونهار دون مساء إنّه امتداد مستمر مفتوح على جميع الاتجاهات وفي كل الآفاق و بتعدد الفضاءات التي يرسمها الراوي فهو يحكي لنا مع كل من الفضاءات قصته الخاصة باعتماده مختلف المفارقات الزمانية"[2]

أنواع الفضاء المكاني:

يعتبر الفضاء المكاني شرط أساسي في البنية السردية للحكي وبالتالي يلعب دورا مهما وحيويا على مستوى الفهم وعليه فإنّنا نجده يتخذ أشكالا وأنواعا متعددة منها:

الفضاء الروائي: يعد الفضاء الروائي عبارة عن " فضاء لفظي يختلف عن الأماكن المدركة بالسمع أو بالبصر وتشكله من الكلمات يجعله يتضمن كل المشاعر والتصورات المكانية التي تستطيع اللغة التعبير

[1] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص 121.

[2] المرجع نفسه، ص 156. (بتصرف)

عنها ولما كانت الألفاظ قاصرة عن تشييد فضائها الخاص بسبب طابعها المحدود، فإنّ ذلك يدعوا الراوي إلى تقويه سرده بوضع طائفة من الإشارات وعلامات الوقف داخل النّص المطبوع"[1]، ما يعني أنّ الفضاء هو عنصر مساهم في تشكيل العمل السردي إضافة على أنّه فضاء لفظي لأنّ اللغة هي التي توجده وتصنعه والذي يكون عبارة عن حروف وكلمات وعلامات وإشارات.

الفضاء النصي:

هو فضاء مكاني إلاّ أنّه متعلق بالمكان الذي " تشغله الكتابة ذاتها باعتبارها أحرفا طباعية على مساحة الورق وتشمل ذلك: تصميم الغلاف ووضع المقدمة وتنظيم الفصول وتشكيل العناوين وتغيرات حروف الطباعة"[2]، وبهذا يكون الفضاء النّصي إطاره في مساحة الكتابة وأبعادها الثلاثة وليس له علاقة بمكان تحرك الشخصيات لأنّ " فضاء الكتابة الروائية باعتبارها طباعة"[3].

الفضاء الدلالي:

يقصد به الصورة التي تخلقها لغة الحكي وما ينشأ عنها من بعد دلالي، وقد تحدث عنه (جيرار جينيت) فرأى أنّ لغة الأدب لا تقوم بوظيفتها بطريقه بسيطة إذ ليس للتعبير الأدبي معنى واحد بل تتضاعف معانيه وتكثر إذ يمكن للكلمة الواحدة أن تحمل أكثر من معنى واحد فهناك المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.... والفضاء الدلالي يتأسس بين المدلول الحقيقي والمدلول المجازي وهذا من شأنه إلغاء

[1] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 2005،ص 74/73.

[2] المرجع نفسه، ص 74.

[3] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 56.

الوجود الوحيد للامتداد الخطي للخطاب"[1]، والمعنى أنّ الفضاء الدلالي ذو أبعاد متعددة، وعلى المتلقي إيجادها لأنّه مشحون بالدلالات والمعاني والرموز والإيحاءات.

الفضاء الجغرافي:

"وهو مقابل لمفهوم المكان ويتولد عن طريق الحكي ذاته إنّه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال أو يفترض أنّهم يتحركون"[2]، يعني المكان الذي ينشأ فيه لغة السارد أو الحاكي ذاته.

2- الوصف:

يُعدُّ الوصف أحد أهم ركائز المكونات السردية حيث يمثل المساحة الكبيرة من نص الخطاب السردي، وقد يتقاسم الوصف مع السرد الحصة الكلية لمتن الرحلة باعتبارهما نمطان خطابيان لا ينفك أحدهما عن الآخر فالعلاقة علاقة حركة وتوقف، فالسرد يمثل التتابع والفعل والتقدم ويأتي الوصف ومعه الحوار لإبطاء حركة السرد " فالسارد في الرحلة إذن يصف ليسرد ويسرد ليصف"[3]، بمعنى أنّ الراوي يسرد لنا الأحداث عندما يجوب الأمصار ويصف عندما يستوقفه شيء، فالوصف لا يفترق عن السّرد بل يشكل جزء منه.

والوصف هو" ذكر بعض الأشياء التي تَخُص الشيء وليست ثابتة على حد وما يقال في الدار الواسعة أو الضيقة وكما يقال في الرجل الطويل الأسمر الأقنى" [4]، يعني أن يذكر الرحالة مقاطع وصفيه التي تقوم على تقديم الجزئيات والتفاصيل للمرئيات أو المشاهدات المختلفة وفي معظم الأحوال تكون

[1] محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، ص 75.

[2] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 62.

[3] عبد الرحيم المودن، الرحلة في الأدب المغربي (النص، النوع، السياق)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص 112.

[4] طلال خليفة سلمان، مستويات السرد القرآني، مجلة التراث، النجف، العدد 02، ذو القعدة 1434هـ، ص 292.

هذه الموصوفات نابعة من عمق السرد " فالرّحالة يحكي عن هذه الموضوعات في خضم الوصف إلى الحد الذي يصبح فيه هذا الأخير مستوى من مستويات السرد"[1]، فالراوي في رحلته يجعل من الوصف أداة لوصف الأشياء والأماكن والإنسان والأحداث في إطار تفاعلي بغيه كشف أبعادها الخفية، فيعطي الرحلة بعدها الأدبي السردي لأنّ هذا النوع من الرحلي يركز على سرد الحكاية من منظور الحركة التي ترتكز على الأحداث.

فالوصف في الأدب الرحلي هو " محاولة من قبل الرحالة لتسميه المرئي في تموقعه المكاني أولا ثم الانتقال إلى تموقعه الزماني عند تفسيره أو تأويله من قبل الرحالة وكل مجال من مجالات اشتغال الوصف معاييره الخاصة التي تسمح بترتيب مؤثرات المجال الوصفي تبعا لوظيفتها ودلالاتها داخل كل مجال على حده"[2]، والوصف على حدّ تعريف (جيرار جينيت) هو "كل حكي يتضمن سواء بطريقه متداخلة أو بنسب شديدة التغير أصنافا من التشخيص لأعمال أو أحداث تكون ما يوصف بالتحديد سردا (Narration) هذا من جهة ويتضمن من جهة أخرى تشخيصا لأشياء أو لأشخاص وهو ما ندعوه في يومنا هذا وصفا (Description)"[3].

والمتأمل من مقولة (جيرار جينيت) أن الوصف تقنية تستعمل لتمثيل العبارات وتصوير بالأشخاص والأشياء أو بمعنى آخر يوظفه الراوي أو السارد في جميع العمليات بهدف إيصال مبتغاه للمتلقي والقارئ، مع أن الفرق يبدو واضحا بين الوصف والسرد من جهة يتضمن عروضا لأفعال

[1] عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث، ص 63.

[2] عبد الرحيم المودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد، ص 279.

[3] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 78.

وأحداث فهي التي تشكله، ومن جهة ثانيه عروضا للأشياء والأشخاص فإن " التمييز على المستوى العلمي ليس بسيطا هذا التداخل جعل (جيرار جينيت) يعكف على دراسة طبيعيه لكل من السرد والوصف فإذا كان من الممكن الحصول على نصوص خالصة في الوصف فإنّه من العسير أن نجد سردا خالصا"[1].

فالوصف عامل فعّال يستعين به الراوي لصنع صورة معينه في ذهن المتلقي لأجل التأثير والمتابعة ما يتضمن أنّ الوصف يؤدي " وظيفة هامه ضمن جماليات الخطاب وأسلوبية اللغة لأنه يعكس الصورة الخارجية لحال من الأحوال أو تمثيلة للصفات المحسوسة للحيز والأشياء من موجودات ومكونات تنتقل من خلال الكلمات إلى ذهن القارئ ليتصورها"[2]، وهذا يحدد بشكل عام أنّ الوصف في العمل السردي يتمثل في وظيفتين أساسيتين هما:

الأولى جمالية: والوصف في هذه الحالة يقوم بعمل تزييني حيث يشكل استراحة في وسط الأحداث السردية ويكون وصفا خالصا لا ضرورة له بالنسبة لدلالة الحكي.

الوظيفة الثانية: توضيحية تفسيرية أي أن يكون للوصف وظيفة رمزية دالة على معنى معين في إطار سياق الحكي.

[1] حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 78.

[2] أحمد طالب، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار الغرب،وهران، ص 28.

3- الاستطراد:

يشكل الاستطراد مقوما أساسيا تركن إليه العملية السردية حيث يضفي على الرحلة جمالا وفائدة في آن واحد " وقد أُعتبر في بعض العهود الأدبية مظهرا من مظاهر الشمول الثقافي"[1]، والاستطراد في أصله اللغوي (طَرد) يتضمن أكثر من معنى ويأتي بمعنى "التتابع: اطّرد الشيء إذا اتّبع بعضه بعضا و جرى واطّرد الأمر: استقام واطّردت الأشياء إذا تبع بعضها بعضا، واطّرد الكلام إذا تتابع، واطّرد الماء إذا تتابع سيلانه ويأتي بمعنى التجاوز"[2]، وجاء في بغيه الإيضاح لتلخيص المفتاح لمفهوم الاستطراد أنّه " الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصّل إلى ذكر الثاني "[3]، وقال أبو الهلال العسكري " الاستطراد هو أن يأخذ المتكلم في معنى فيما يمّر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سببا إليه"[4].

ويشكل الاستطراد نوافذ تنفتح على عوالم شخصيه كلّ سارد وراو على ما تقتضيه الخلفيات الإيديولوجية والمرجعيات الثقافية " ومن ثم لم تسلم الرحلة من الاستطراد الذي خلخل في كثير من الأحيان المسار السردي للرحلة إلاّ أنّ هذا لا يمنع من القوامة الجمالية لبنيته السردية بل سمح للرحالة أن يقدم فسيفساء سردية"[5]، يعني على الرغم من الاستطراد الذي يكثر الراوي منه إلاّ أنّه يعطي صبغة

[1] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص 18.

[2] جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص 101-102.

[3] عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، دار النشر، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر،2005، ط17، ص 210.

[4] الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعتين في الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1419، ص 127.

[5] عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث مكونات السرد، 2014، ص 88.

الجمالية والبلاغية على النص السردي ويكسبه حلّة فسيفساء، كما أن الاستطراد يُعدُّ بعدا ذاتيا إذ يجد فيه الرحالة متنفسا فيأتي على ذكر الأحداث والمشاهد والوقائع ليجعل المتلقي أو السامع دائما متطلعا للاستزادة وكسب معارف بحيث يتصور نفسه كأنّه يعيش أحداث تلك الرحلة.

المبحث الثاني: أشكال التعبير وألوان القص في الخطاب الرّحلي

يأخذ الأدب الرحلي أشكالا متعدّدة من التعبير، وأنماط متنوعة من الكتابات السردية " باعتبار أنّ الرحلة في ذاتها تجربة شخصية وخطتها حرة غير مقيدة وتبرز من كاتب إلى آخر خصوصيته في التعبير عن رحلته التي تمنحه الحرّية في توظيف ما شاء من الأشكال"[1]، وتكون هذه الكتابات على الشكل التالي:

1- السيرة الذاتية:

يجدر الإشارة هنا أنّ التمييز بين عناصر الرحلة ومكوناتها وبين السيرة الذاتية تكون صعبة، إنْ لم تكن شبه مستحيلة، لأنّ كلاهما تتداخلان وتمتزج عناصرها عندئذ يصعب التمييز بين السيرة الذاتية للشخص والرّحلة، فالسيرة الذاتية " هي التي يقوم صاحبها بالكتابة عن نفسه فهو الذي يروي لنا تاريخ حياته مرحلة مرحلة بتجرد وصدق ووعي في ثوب أخّاذ"[2].

ويعرّفها إحسان عباس بقوله: "الترجمة الذاتية هي أن يكتب المرء بنفسه تاريخ نفسه فيسجل حوادثه وأخباره ويسرد أعماله وآثاره، ويذكر أيّام طفولته وشبابه وكهولته، وما جرى له فيها من أحداث

[1] عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث، مكونات السرد، ص 142.

[2] عبد الرزاق حسين، فن النثر المتجدد، دار العلم والثقافة، المملكة العربية السعودية 1998، ط1، ص 44.

تعظم أو تضؤل تبعا لأهميتها "[1]، وهذه الكتابات التي يستخدمها السارد في سيرته الشخصية تأخذ أبعادا على مستوى الشكل والأسلوب، وذلك بقوة الأسلوب ودقة العبارة في البنى السردية قصد التأثير والتشويق على المتلقي أو السامع لتلكم الأحداث التي وقعت للرّحالين، والمسافات " التي يقطعونها والمناظر التي يرونها والحوادث التي يتعرضّون لها ولكن إضافة إلى ذلك فهم يتحدثون عن كثير من سلوكاتهم وتجاربهم الشخصية الذاتية ممّا يجعل هذه الرّحلة في كثير من جوانبها تلتقي مع السيرة الشخصية لصاحبها"[2]، يعني أن يسجل الرّحالة ويؤرخ لأحداث ووقائع وسلوكاته وتجاربه في حياته الشخصية.

2- الحوار:

يشكل الحوار في الأدب الرّحلي عنصرا مهما في البنية السردية، يَعمدُ إليه الرّحالة قصد التخفيف عن نفسه أو دفعا للسأم والملل، أو كسر لرتابة السرد الطويل وغيرها من أهداف الحوار.

2-1- مفهوم الحوار:

جاء في لسان العرب لابن منظور أنّ: " الحوار: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور: التّجاوب تقول كلمتُهُ فما أحار إليَّ جوابا وما رجع إلي حويرا ولا حوارا، أي ماردّه ، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة"[3].

[1] محمد عبد الغني، التراجم والسير، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، ط3، ص 23.

[2] محمد عزلاوي، التوليف بين الرّحلة والسيرة الذاتية ، الأدب المغربي القديم نموذجا، مجلة الواحات للبحوث والدّراسات، الجلفة، الجزائر، 2012، العدد 16، ص 40.

[3] جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص 221.

والحوار في الإصطلاح هو: " مراجعة للكلام وتداوله بين الطرفين والأخذ والرّد فيه"[1]، يعني الحديث الذي يجري بين الطرفين سواء أكان الحوار حديث ظاهر (خارجيا) أو كان باطنا (داخلي) وقد أشارت إلى هذا (مريم فرنسيس) على أنّه " حديث معلن أو مضمر بين طرفين أو أكثر يوحي ليعبّر من خلاله عن شعوره الداخلي أو لفكرته ويُحاكي واقعه ويُبيّن معاناته بطريقة فنّية إبداعية مؤثرة " [2]، يعني أن يكون الحوار ظاهرا أو مضمرا وتعبر عنه الدراسات النقدية المعاصرة بالحوار الداخلي والخارجي، فقد يلجأ السارد إلى الحوار الخارجي لأغراض متعدّدة، أمّا " ما يتعلق بالحوار الداخلي فله أكثر من علّة فكثيرا ما دار حديث الرّحالة مع نفسه ووصف مشاعره الدّاخلية ولَعلَ مَرْجع ذلك على ما كان يحمله الرّحالة في نفسه من هموم وطنية، وتساؤلات عن مستقبل مَرجو، ففي أحيان كان الحوار الداخلي تعويضا لما ضاع منه"[3]، يبرز لنا هذا النّص أنماط الحوار التي تتجلّى في الحوار الخارجي.

2-2- بنية الحوار:

يُعدُّ الحوار من الأنماط التّعبيرية الهامة التي يشترك مع السرد والوصف في بناء النّص الرّحلي، إذْ يشكل الحوار " جزءً فنيا من كيان أدبي تتوفّر فيه العناصر الأدبية المتكاملة التي يجعل من ذلك الكيان اللفظي أدبا وليس شيئا آخر"[4]، ويشكل الحوار دورا هاما في البنية السردية حيث يُقرّب النّص الرّحلي من لغة الواقع أكثر، ويساعد المتلقي من الكشف عن الأحداث بأسهل طريق فضلا عن دخوله في البناء

[1] فاضل بشناق، الحوار مفهومه وأهدافه وركائزه،
موقع http: www.k128.com/books/print?bid=174&pno=2

[2] مريم فرنسيس، في بناء النص ودلالاته، (نظم النّص التخاطبي)، دار وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2001، ص 95.

[3] عيسى بخيتي، أدب الرّحلة الجزائري الحديث، مكونات السرد، ص 167.

[4] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص 166.

السردي وذلك بالتركيز على الشخصيات، ولا يكشف عن بناء الشخصية فقط " بل نحن لا نعرف سلوك الشخصية فحسب، بل ندرك لماذا أقدمت على هذا الفعل دون سواه"[1].

2-3- أنواع الحوار:

نظرا لما شكله الحوار من أهمية كبرى في الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة ترتب عن ذلك أقسام له وهي:

2-3-1- الحوار الخارجي:

يسعى الرّحالة إلى الحوار أحيانا في المتن الرّحلي ابتغاء الكشف عن الملامح الفكرية للشخصية الساردة، ويعبّر من خلاله عن وجهة نظره بسبب سيادة الصوت الواحد في السرد، ويعمد كذلك إليه حتى يجعل السامع أو المتلقي وكأنّه يعايش العالم الذي يسرده الحاكي في النّص الرّحلي، ونستشهد في هذا برحلة ابن بطوطة، وهذه الحكاية تكلم فيها عن بخل الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادي " وكانت بيني وبينه مودة....فقلت له يوما: لمَ تأكل وحدك ولا تجمع أصحابك على الطعام؟ فقال لي: لا أستطيع أن أنظر إليهم على كثرتهم وهم يأكلون طعامي، فكان يأكل وحده....."[2].

ونجد كذلك الشيخ البشير الإبراهيمي ورحلاته وأسفاره في كافة الأمصار وحواراته مع أبرز الشخصيات الإسلامية حول الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية التي يعيشها العالم الإسلامي والعربي، ولما التقى مع سفير العراق في مصر جرى بينهما حوارٌ حول كلمة السّر من أجل كيفية جلب

[1] عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة، 1987، ص 237.

[2] محمد بن عبد الله ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص 461.

السلاح للثورة الجزائرية قائلا له: " هلْ عندك صُورة شمسية ؟ قلت: أي نعم هذه هي، فتأمّلها وقال: اقطعها عموديا قطعا غير متوازي الأركان فأخذت مقصا وقطعت الصورة كما طلب، دون أن أفهم من الأمر شيئا قال: ناولني أحد النصفين"[1].

2-3- الحوار الداخلي:

يكون هذا الحوار داخلي أي بين الشخصية وخلجات نفسه إذْ يرتكز " المحتوى النفسي والعمليات النّفسية في المستويات المختلفة للانضباط الوعي"[2]، وفيه تَعْمد الشخصية على المناجاة والحوار الذاتي، وبث أفكارها وهواجسها وتخيلاتها " عندما تفضي الشخصية مكنوناتها على إنفراد في لحظة من لحظات التطور الحاسم"[3].

3- التصوير:

يشكل مصطلح الصورة أو التصوير أحد أبرز المفاهيم النقدية دورانا وتوظيفا في النقد الأدبي، ويتداخل مفهوم الصورة مع مفاهيم أخرى تؤدي إلى تعدد المعنى (التصوير، أو التمثيل، أو التشخيص) وغيرها من المصطلحات المرادفة لمفهوم الصورة، وهذه الصورة الواردة في ثنايا الأدب الرّحلي التي يرسمها الرّحالة أثناء تنقلاته وأسفاره تُعدُّ زبدة الرّحلة التي تكون بمثابة الدعامة والإرهاصات لوثيقة تاريخية

[1] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ج3، ص 422.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص 166.

[3] نبيل راغب، بين المناجاة و والمونولوجا، مجلة فيصل، دار فيصل للثقافة، المملكة العربية السعودية، 1985، العدد 100، ص 75.

للشعوب، وتتفاعل الصورة بشكل واسع مع القيم السائدة في السياق الذي ينشأ فيه الخطاب السردي الواصف للرحلة القائم على التشخيص والمعاينة المكونة للصورة المعبرة عنها.

والتصوير في الأدب الرّحلي هو " عملية ضبط الموجود الظاهر والوجود الباطن وجعل هذه العوالم تدرك بالحسّ والحدس والعقل والرؤيا "[1]، فالصورة في الأدب الرّحلي هي التي " ترسم شكلا الشخصيات وتصف ملابسهم وأدواتهم وأثاث بيوتهم وتكشف عن تركيبهم النّفسي وتبرّره أيضا"[2]، وفي هذا السيّاق نجد (يوجين فرومونتان) Eugene Fromentin، حين قام سنة 1846 بزيارة الجزائر لأول مرّة إذْ سمحت له هذه الرّحلة بتصوير نماذج نفسية عن المناظر الطبيعية وسكانها.

" وقد كانت لوحته الموسومة بالعنوان " مضائق الشفة " des gorges de la chiffa، " التي تعبر عن المنطقة الشهيرة بين ولايتي المدية والبليدة حاليا ضمن مجموعة فنية شكلت فاتحة لأوائل معروضاته الفنية عام 1847م، وقد توالت تشريفاته بعد ذلك حين عرض لوحة بعنوان (نساء من الجزائر..... لقد أسهمت رحلته الثانية إلى الجزائر سنة 1852، والتّي اكتست صبغة تنقيبية أركيولوجية في تعميق إحساسه وتدقيق موضوعاته المتعلقة بالتصوير الطبيعي الواقعي لموضوعه الجزائر والشرق

[1] ساسين سيمون عساف، الصورة ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، 1982،ط1، ص 20.
[2] صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2003، ص 295.

عموما.....لقد تآزرت في أعماله الكلمة مع الصورة فعكست عالم الشرق بشرائعه وأعرافه الأخلاقية والجمالية "[1].

4- الخيال:

يمثل التخييل أحد أبرز المقومات الأساسية التّي تجعل من الخطاب الرّحلي خطابا أدبيا، إذْ يُعد من المفاهيم التي أسهمت إلى حد بعيد في العمل النقدي لدى العرب، وتبعا لهذا فقد عرف المفهوم تحولات مست كينونته الاصطلاحية بعد أن كان مصطلحا جزئيا يقارب بعض المسائل الأسلوبية في جمالية الخطاب إلى مفهوم كلّي شامل مع الفارابي (ت 339هـ) وابن سينا (ت 428هـ) وحازم القرطاجني (ت 684هـ).

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس (ت 395هـ) أنّ " خَيَلَ: الخاء والياء واللام أصل واحد يدُل على حركة في تَلَوُّن فمن ذلك الخيال وهو الشخص وأصله ما يتخيله الإنسان في منامه لأنّه يتشبّه ويتلوّن"[2]، ويرى الفراء (207 هـ) أنّ " الخيال كلّ شيء تراه كالظّل وكذلك خياله الإنسان في المرآة وخياله في المنام صورة تمثاله ورُبَّما مرَّ بك شبه الظل فهو خيال "[3]، ونجد في المعاجم اللغوية والدراسات النقدية القديمة أنّ الخيال يُعد من أبرز المصطلحات تداولا حيث "كانت تستعمل للدلالة على الطيف

[1] المسعود جوادي وعيسى بريهمات، المدن الصحراوية الجزائرية في أدب الرّحلة الفرنسي بين التصوير والتنميط مدينة الأغواط نموذجا، مجلة أبوليوس، أفلو، الجزائر، جانفي 2022، العدد 01، ج9، ص 81.

[2] أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1366هـ، ط1، ص 235.

[3] محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق عبد الكريم العزباوي، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1967، ج7، ص 565.

والصورة الماثلة في الذهن ومن ثمة فقد كانت تشير إلى موضوع الخيال ومادته ولم تكن تستخدم بمعنى الملكة الذهنية التي شهر على ابتكار الصورة المتخيلة وإعادة إنتاجها "[1].

يبين لنا هذا النّص أنّ (الطيف أو الخيال) قد شغل حيّزا واسعا في الدراسات النقدية القديمة بل أُعتبر شكلا من أشكال الإشباع العاطفي الذي تقاسيه نفس الإنسان.

أمّا لفظ (التخييل) لم تكن كذلك تختلف عن معنى الخيال في الاستعمال اللغوي، حيث اعتبره الفرابي (ت 339 هـ) من جهة اللغة مرتبط بالوهم وفي ذلك جاء معنى السحابة المخيلة التي لا مطر فيها، قال الأزهري في تهذيب اللغة " خيلت علينا السماء إذا رعدت وبرقت قبل المطر فإذا وقع المطر ذهبت اسم التخييل "[2]، بمعنى أنّ التخييل يشمل كل صورة ذهنية تقوم في النّفس بشرط أن تختلف عن الجوهر الحقيقي لموضوعها إضافة إلى ذلك أنّه يتّسم بالتنوع والتّشعب والاتساع لأنّه " كثير المسالك لا يكاد يحصر إلاّ تقريبا ولا يحاط به تقسيما وتبويبا"[3]، والتخييل في السرد الرّحلي لا ينافي مصداقية الرّحلة ووقائعها، لأنّه أسلوب تعبيري أساسه اللغة في جوهرها تخييل.

والكاتب حين " يكتب لا يتعامل مباشرة مع الواقع بل مع ما يرسمه ذهنه أو مخيلته من صور تخص هذا الواقع وتمثله وتعنيه"[4]، وتتشكل هذه الصورة الذهنية عن طريق التعرف على المشاهد والوقائع

[1] جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1992،ط3، ص:15.
[2] محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج7، ص 564.
[3] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق وتعليق محمود شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية،1991،ط1، ص: 267.
[4] يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1990، ط1، ص 20.

استنادا على مسبّقات ثقافية التي تعتمد على التراث الأدبي والجغرافي ممّا تؤدي دورا مهما في بلورة تلك التّصورات التي تجمع بين الحقيقة والخيال في بناء العمل السردي.

وعلى سبيل المثال نجد في رحلة ابن فضلان أثناء تصويره للشفق القطبي في بلاد الصقالبة يوضح ما ذُكر آنفا وذلك في قوله: " رأيت قبل مغيب الشّمس بساعة قياسية أفق السماء وقد احمرّت احمرارا شديدا، وسمعت في الجو أصواتا شديدة وهمهمة عالية، فرفعت رأسي فإذا غيم أحمر مثل النّار قريب منّي وإذا تلك الهمهمة والأصوات منه وإذا فيه أمثال النّاس والدّواب وإذا في أيدي الأشباح التي فيه تشبه النّاس رماح وسيوف أتبيّنها وأتخيّلها وإذا قطعة أخرى مثلها أرى فيها أيضا رجالا وسلاحا فأقبلت هذه القطعة تحمل على هذه كما تحمل الكتيبة على الكتيبة ففزعنا من ذلك وأقبلنا على التضرّع والدعاء وهم يضحكون منا ويتعجّبون من فعلنا.... فسألنا الملك عن ذلك فزعم أنّ أجداده كانوا يقولون: إنّ هؤلاء من مؤمني الجنّ وكفارهم وهم يقتتلون في كلّ عشية وإنّهم ما عدموا هذا منذ كانوا في كلّ ليلة "[1].

من الواضح أنّ ابن فضلان أخلط هنا بين الأساطير التي تلقاها في عين المكان (الصقالبة) والخرافات العربية والمشاهدات الطبيعية التي وشمت في ذهنه، إذْ فسر ظاهرة الشفق القطبي على أنّها حرب بين كفار الجنّ ومؤمنيهم، ممّا يدل على أنّه استلهم أساطير الشعوب التي جابها، والتي قد يكون سمعها من سكانها حول اقتران ظاهرة الشفق القطبي مع البطلات الأسطوريات فتصور أنّه ما لم يره في الحقيقة.

[1] أحمد ابن فضلان، رحلة ابن فضلان، (رسالة ابن فضلان) تحقيق سامي الدّهان، دار الهاشمية، دمشق، 1960، ص: 152-153.

الفصل الثـاني:

دراسة تطبيقية في رحلة أبي القاسم سعد الله

كتاب تجارب في الأدب والرحلة

1- السرد:

شكّل السرد في النّص الرّحلي لأبي القاسم سعد الله بُعْدا مهما من خلال نقل الأحداث والأخبار ووصف المشاهد، ويتجلّى هذا في رحلتيه الأولى إلى بلاد المغرب والثانية إلى جزيرة العرب، وكان الداعي لها هو البحث عن المخطوطات التاريخية الموجودة في تلك البلدان والأماكن رغبة في إكمال بحثه حول تاريخ الجزائر الثقافي، فلا يكاد يترك مكتبة أو مركزا ثقافيا أو أرشيفا أو كليّة أو جامعة أو مسجدا أو كتاتيب إلاّ طرقَ بابها وسأل أهلها عمّا فيها من الكتب والمخطوطات والمعلومات.

وهذه التجارب قد جمعها في كتاب مستقل الموسوم بـ (تجارب في الأدب والرّحلة)، وأبرز تلك الرحلات في الكتاب رحلته إلى المغرب والتي غطّت هذه الرحلة أكثر من 30 صفحة من الكتاب، أمّا الرّحلة الأخرى فهي رحلته إلى الجزيرة العربية والتي تمّت في شهر أبريل سنة 1977م للمشاركة في ندوة دولية بالرياض حول مصادر دراسات تاريخ الجزيرة العربية.

وقد شارك في تلك الندوة ببحث كان عنوانه (الرحلات الجزائرية إلى الحجاز خلال العهد العثماني)، وبعد عودته كتب هذه الرحلة والتي بلغت 20 صفحة، وهذه الرحلات تُعدُّ محاولة قمنية بالدراسات والتحاليل لما سجله من مواقف ومشاهد من خلال هاتين الرحلتين، وقد ساق لنا هذه الحوادث والمشاهد في أسلوب قصصي من يومياته ومذكراته بطريقة عفوية لإبراز عنصر المفاجأة أو ما يصطلح عليه (surprise) وهو " الانفعال الحاصل عندما تحبط التوقعات المتعلقة بما سوف يحدث

بواسطة ما يحدث بالفعل، ويعدُّ توليد المفاجأة ذا أثر عام نحو ما حدث من قبل على الرغم من أنّ ما يحدث بالفعل يخيّب توقعاتنا ويشكّل التفاعل بين المفاجأة والتشويق أحد مظاهر الحبكة الجيّدة"[1].

وخلال هذه الرحلات كان يسجل فيها كلّ ما يراه ويشاهده، يقول في ذلك: " وقد سجلت أثناء رحلتي كعادتي في كلّ بلد أزوره يوميات صَببتُ فيها مشاعري ومشاهداتي وقراءاتي ولقاءاتي صبّاً عفويا لا تنسيق فيه ولا تفنن.....فضلت أن أنسج هذا العرض لأخبار الرحلة نسجاً آخر لا يتقيّد باليومية ولكن بالحادثة نفسها مقتصرا فيه على الأحداث والمناسبات الثقافية والمتّصلة بها"[2]، ويتجلّى النّص السردي في الرّحلة حينما تحدث الراوي (سعد الله) عن سفره إلى بلاد المغرب والذي كانت في صيف يوليو من عام 1973 للميلاد، والتي كانت عبر الطائرة التونسية حيث نبّه إلى هذا قائلا : " وكانت الطائرة قد حلقت بنا فوق سحب كثيفة أخذت في الإنقشاع كلّما توغلنا في اتجاه المغرب"[3].

ولما كان في الطائرة شَعَر بإحساس قوي وهي تحلّق به فوق الأراضي المغربية حيث يقول: " وعندما أعلنت المضيفة التونسية بصوت رخيم أنّ الطائرة ستبدأ في الهبوط بمطار النواصر وشعرت عندئذ أنّ الطائرة كانت حمامة سلام"[4]، ولما وصل استأجر سيارة حتّى يصل إلى الدار البيضاء حيث سرد لنا هذه الحادثة قائلا: " ولم تستغرق الإجراءات في مطار النواصر سوى بضع دقائق.....وخرجت من المطار

[1] جيرالدبرنس، قاموس السرديات، ص 194.

[2] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1983، ط1، ص 204، 205.

[3] المرجع نفسه، ص 211.

[4] المرجع نفسه، ص 212.

وأخذت مقعدا في السيارة العمومية التي تصل إلى المطار لمدينة الدار البيضاء....وكانت المسافة بين المطار ووسط المدينة حوالي خمسة وثلاثين كيلومتار"[1].

أمّا الرحلة التي قام بها إلى الجزيرة العربية فقد كانت سنة 1977م، والتي جاء عنوانها (رحلتي إلى الجزيرة العربية)، حيث كانت نفسه توّاقة إلى زيارة الحرمين والبقاع المقدسة والأماكن، إذْ سجل فيها انطباعاته وما وقعت عليه عيناه، إضافة أنّه حظي بمكانة جدّ مهمة عنده وذلك لأهمية الجزيرة العربية في تاريخ العرب والمسلمين، وقد نقل لنا الكرم والجود المتأصل في جذور السعوديين إضافة لذلك الجانب الثقافي والفكري وفي سفره لهذه البلاد فقد " استخدم سعد الله في سرد رحلته أسلوب اليوميات أو المذكرات مع عدم التركيز على دقائق الأحداث والإيجاز في العرض في كثير من الحالات بسبب تخصيصه للرحلة كتابا (تجارب في الرحلة والأدب)"[2].

وقد صرّح قائلا: " وقد سجلت كعادتي في كلّ بلد أزوره يوميات وانطباعات ومشاهد تغطي جميع مظاهر الحياة التي لم يصل إليها انتباهي وفضولي العلمي ولعلي لم أسجل من ذلك على بلد كما سجلت على رحلتي إلى الجزيرة العربية ويعود ذلك لأهمية الحادث في حياتي من جهة ولأهمية الجزيرة العربية في تاريخ العرب والمسلمين من جهة أخرى"[3].

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 215.

[2] سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص 98.

[3] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 236.

وقد وظف الدكتور سعد الله تقنية السرد في متن هاتين الرحلتين وذلك بسرد الأحداث والوقائع التي تعرض لها بحيث لا تنفك الكتابة الرحلية عن السرد في النّص لأنّ " جسد الرحلة يتمثل في السرد الذي يعطي للرحلة شرعيتها الأدبية"[1]، والسارد هو يقوم بعملية السرد والذي يكون شاخصا فيه إذا هو " الذي يقوم بدور الوساطة بين الأحداث والوقائع من جهة ومتلقيها من جهة أخرى إنّه الشخص الذي يقومُ بالسرد وهناك على الأقل ساردا واحدا لكلّ سرد ماثلا في مستوى الحكي نفسه مع المسرود له الذي يتلقى كلامه"[2].

والسرد هو نقل الحادثة المتوالية من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية سواء أكانت حقيقية أم خيالية وهو يقوم على ثلاثة عناصر أساسية، السارد وهو الراوي، والسرد يعني الحكي والمتلقي المسرود له، ويعّدُ أبو القاسم سعد الله هو الراوي والذات المركزية التي تقوم بفعل الرحلة وسرد ما قدمه لنا من تجارب في الأحداث والمواقف والمشاهد التي جرت معه في رحلاته.

ويظهر هذا في عنوان الرحلتين التي نسبها إلى نفسه (رحلتي إلى المغرب) و (رحلتي إلى الجزيرة العربية) بصيغة ضمير المتكلّم المفرد الدّال على الأنا يعني الذاتية، وهو الضمير الذي تحكي الرحلة وتسرد الوقائع، ونلمس هذا من خلال توظيفه للأفعال كـ (خرجت، ورأيت، وتعرفت، وصلت، عرفت...) والتي تدل على إبراز الذاتية التي عاينت المواقع وشاهدت الآثار وهذا ما نجده في قوله: " ورأيت وأنا في المكتبة شخصا كبير السن طويل القامة...وعندما سألت.... وتعرفت على الأستاذ محمد حجي وقد

[1] عبد الله إبراهيم، المحاورات السردية، دار الأمان، الرباط، المغرب، 2011، ط1، ص 203.

[2] عليمة قادري، رحلة السرد السندباد يعود من بعيد، دار الكتاب، عنابة، الجزائر، 2013، ط1، ص 134.

علمت....وكم تمنيت لو اطلعت عليها ولكن الحظ لم يعفني"[1]، وكما نلفت الانتباه هنا أنّ العنوان من صنع الراوي (يعني سعد الله).

والدليل على هذا في نسبته نفسه للرحلة (رحلتي) بضمير المتكلم الدال على الأنا والذاتية، والذي غطّى جلّ النص الرحلي (زرتُ، اعتدت، رأيت...) وهذا بيان على إثبات الذاتية بصورة مستمرّة من بداية الرحلة إلى نهايتها نحو قوله: " وقد بدأت تسجيلاتي من مطار الجزائر ذهابا إلى مطار جدّة عائدا فقد كان سفري يوم 21 أبريل صباحا سنة 1977م وفي مطار الجزائر خضعت لتفتيش دقيق"[2]، إذا فوجودُ (ضمير المتكلم) في افتتاحيات رحلته من أجل أن " تشد القارئ أو السامع وتشوقه لما يسرد من قصص وأخبار كما يهدف السارد بها إلى تنسيق الكلام والتمهيد لما يأتي"[3]، والرحلتين قد احتفت بالضمير المتكلم (أنا) الدال على المفرد الراوي أو بصيغة الجمع (نحن) للمتكلم المفرد المفخم والجدول التالي يوضح ذلك:

أنا الدال على المفرد	(نحن) الدال ضمير المفرد المفخم
زرت المغرب، كنت، تراودني، تميل بي، عزمت، شعرت، أتاح لي، سمعت، سجلت وأنا أتذكر، شاهدت.	وقد كنا سمعنا والطائرة التي أقلتنا من مطار الجزائر سعودية ولا نكادوا نصدق

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 237.

[2] المرجع نفسه، ص 237.

[3] سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري ص 133.

ويظهر لنا من العنوان (رحلتي إلى المغرب) و (رحلتي إلى الجزيرة العربية) أنّهما يمتازان بالإيجاز والقصر، وفي تحليلنا للكلمة (رحلتي) تبادر للذهن أنّ ثمة انتقال وسفر من مكان معين إلى مكان آخر، والأماكن التي انطلق منها السارد (سعد الله) وقصدها هي بلاد المغرب في سنة 1973م، والحجاز سنة 1977م، حيث تَوجَه إلى هذه البلاد قصد البحث عن المخطوطات التّاريخية التي تساعده على إنجاز بحثه (تاريخ الجزائر الثقافي)، بالرغم من هذا لم يمنع الرحالة من سرده للأحداث والمواقف ووصفه للمسالك والأماكن وعادات وتقاليد كلّ من بلاد المغرب وجزيرة العرب.

كما أنّ العنوان قد جاء جملة اسمية في سياق النكرة (رحلتي إلى المغرب، رحلتي إلى الجزيرة العربية) والخبر محذوف مقدر بصيغة (هذه رحلتي) والغاية من ذلك شدّ اهتمام المتلقي، كما أنّنا نجد أبو القاسم ذو شخصية مثقفة باحثة اجتماعية وهذا من خلال لقاءاته بالعديد من رجال العلم، وشرائح المجتمع، كما كان جلّ وقته في البحث وراء المخطوطات والكتب حيث يقول: " توجهت إلى الخزانة العامة (المكتبة الوطنية) بحثا عن المخطوطات التي جئت من أجلها"[1].

كما أنّه على دراية تامة بمختلف الكتب القيمة التي صادفها أثناء إقامته إذْ قدم للمتلقي معلومات جدُّ قيمة حولها فمثلا نجده يقول أثناء زيارته للمغرب " رأيت لأبي القاسم الزياني كتابه (الترجمان المعرب) نصفه بخط المهاجر الجزائري أبي حامد العربي المشرف أي من صفحة 341 إلى آخر الكتاب الذي يصل إلى صفحة 632، وكان الزياني قد ألّفه في مدينة تلمسان وقد بدأ بآدم عليه السلام

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 242.

ومن أبوابه آل عثمان وفتوحاتهم (الباب 14) وبنو مرين وبنو عبد الواد حتى تغلب الترك (الباب 18) السعديون بالمغرب والسودان (الباب 19) ودولة الشرفاء بسجلما (الباب 20) "[1].

فأبو القاسم يسرد لنا قصة أبي القاسم الزياني بالتفصيل، كتابه من حيث عدد الصفحات ومكان التأليف والأبواب وغيرها....، كما نجده يسرد لنا يومياته بالتفصيل أثناء وجوده بالمغرب حيث يقول:" وفي الصباح خرجت حوالي السادسة والنصف من الفندق وشرعت في التجوال في الجزء الأعلى من شارع محمد الخامس.....إلى أن وصلت إلى جامع السُنّة وقد وجدت مكتوبا عليه أنّ الذي بناه هو مولاي محمد بن عبد الله سنة 1785م وأنّ الذي جدّده هو الملك حسن الثاني سنة 1969م، ويضاء هذا الجامع ليلا كما تضاء صومعته العالية فيُرى من بعيد وقد قيل لي بأنّ الفرنسيين كانوا قد خططوا لبناء كنيسة مكانه ولكن الخطة لم تنجح لمعارضة المغاربة"[2].

فهو يسرد لنا أخباره وقت خروجه من الفندق وتجوله في الشوارع إلى غاية وصوله إلى جامع السُنة ليدخل بعدها في غمار السرد ويقص لنا حكايته هذا الجامع وتاريخ إنشاءه سردا متسلسلا في الأحداث،كما سرد لنا أحداث سيره من الدار البيضاء إلى الرباط قائلا: " وكانت الساعة تشير إلى الثامنة والنصف عندما تحركت السيارة من الدار البيضاء في اتّجاه الرباط وقد سقط الليل وبدأت أنوار المدينة تتلألأ....وقد قطعنا المسافة في حوالي ساعة ونصف"[3]، والملاحظ في هذه المقاطع وجود الأفعال

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 242.
[2] المرجع نفسه، ص 214.
[3] المرجع نفسه، ص 210.

التي جاءت في صيغة الماضي (كانت، سقطت، تحركت، بدأت...) الدالة على العملية السردية ما يعكس دقة البناء الموحد وانسجام النّص وانتمائه إلى جنس الرحلة.

ونجد كذلك قوله: " وفي مساء أحد الأيّام تجولنا في مدينة الرياض فإذا هي عاصمة كبيرة تمتد على مساحات شاسعة وتتخلّلها الشوارع الواسعة الطويلة والأشجار الباسقة ..."[1].

2- اللغة والأسلوب:

تُعدُّ اللغة التي يستخدمها الرحالون في النّص الرحلي تعبيرا عن مواقفه والإبانة عن شخصيته الأدبية، كما أنّها تميز أدبيته عن غيره من الرحالة، فلكل سارد له طريقة وأسلوب خاص به يدل من خلاله على أفكاره ومشاعره ومشاهداته والأحداث التي مرّت به فيوضعها في قالب لتنتظم في أحسن أسلوب وأجمع صيغ وفق القواعد اللغوية والنّحوية، وفي هذا نجد أسلوب أبي القاسم سعد الله جاء مباشرا بعيدا عن الصنعة والتكلف والغموض، بل في غاية الجودة وأحسن السبك وتسلسل الأحداث.

- الأسلوب الخبري:

وظف سعد الله في رحلتيه الأسلوب الخبري الذي يُعدُّ الأنسب في نقل الوقائع والأحداث ووصف المشاهد للمتلقي، فمثلا يخبرنا في رحلته إلى المغرب عن المسافة الفاصلة بين مدن المغرب أثناء تنقله فيها حيث يقول: " تبلغ المسافة بين الدار البيضاء والرباط حوالي تسعين كيلومتار قطعناها في ظلام الليل

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 245.

الدامس...[1]، من منطلق هذا النص يخبرنا الراوي عن المسافة الرابطة بين الدار البيضاء والرباط أثناء تنقله عبرها.

– أسلوب الإستفهام والتعجب:

بالمناسبة قد أورد الكاتب أسلوبي الاستفهام والتعجب في رحلته " وقد رأيت أحد الأعضاء الذين كانوا يدعون في بلادهم التقدمية على الطريقة الفرنسية متعجبا وهو يقول: هكذا وإلاّ فلا! أين نحن ممّا كنا نعتقده في العالم العربي؟....."[2].

– الجمل الفعلية:

كما نجد في النَّص السردي للرحلة الكثير من الجمل الفعلية الدالة على تأكيد الأحداث والأخبار التي جرت للراوي (السارد سعد الله)، مثال ذلك في قوله : " وقد أطلعني الأخ شحلان على مخطط بحثه وأبديت له فيه رأي بطلب منه وهو متأكد من صعوبة عمله ولذلك لا يتوقف على المطالعة وعن تعلم اللغة العبرية التي عليه أن يقارن بين نحوها ونحو اللغة العربية...[3]، كما نجده قد وظّف مختلف ألوان البديع والبيان من التشاكل اللفظي (يعني السجع) وهو توافق أواخر الكلمات.

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 213.
[2] المرجع نفسه، ص 246.
[3] المرجع نفسه، ص 211.

– التشاكل اللفظي:

يقول الدكتور سعد الله : " والنّاس يغدون ويروحون يبيعون ويشترون يأكلون ويشربون يتحدثون ويغنون نائمون أو سابحون"[1]، ونجد كذلك قوله : " ويلاحظ المرء نهضة عمرانية ضخمة، فسواء كنت في الرياض أو جدّة في مكة أو المدينة"[2]، نستنتج أنّ الرحالة وظّف في المتن الرحلي أثناء رحلته للمغرب والجزيرة العربية ما يعرف بالتشاكل اللفظي، فمثلا في العبارة الأولى نجد أنّ التشاكل في حرف النون والتاء الواقع في أواخر الأفعال (يغدون، يروحون...) و (ضخمة، مكة والمدينة...)، فقد أسهم في جمالية النّص وأصبغ عليها نغمة صوتية ترتاح لها النّفس وتطرب لها أذن المتلقي.

– التقابل:

وهو ما يعرف في الاصطلاح بالتطابق أو الطباق وهو الجمع بين متضادين اثنين، وقد جاء النّص حافلا به مثل قوله: " عارفا بالموجود من المخطوطات والمفقود منها" وقوله أيضا: " وتسجيل الأرقام الصادرة والواردة من المخطوطات"[3]، كما نجد كذلك (نعرف منهم الجيل القديم والجيل الجديد) فنجد الطباق ورد في هذه الكلمات: القديم ≠ الجديد وبين: الصادرات ≠ الواردات، وبين: الموجودات ≠ المفقودات وهذا التقابل في اللغة العربية أسهم في النّص السردي وذلك من خلال توضيح المعنى وترسيخه في ذهن المتلقي والسامع.

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 215.
[2] المرجع نفسه، ص 253.
[3] المرجع نفسه، ص 215.

– الموازنة:

استخدم السارد (سعد الله) مبدأ الموازنة في أكثر المواقف والحوادث إذْ نجده يوازن بين الأشياء والأشخاص، فقد وازن بين شيوخ المغرب والمشرق سواء من حيث البعد المعرفي أو العملي إذْ قال: " وأثناء وجودي في الخزانة العامة دخل شيخ طاعن في السن على رأسه قبعة رمادية وعليه سمة المصريين إنّه الأستاذ عبد الله عنان وقد تذكرت عندما رأيت ما عليه هذا الشيخ من الحيوية والنشاط والإنتاج، وشيوخ الجزائر وهم من الكسل العقلي وجمود القريحة وخمول الذكر ما يفجّر قلب الصّخر"[1]، فهو يتحسر لما آل إليه شيوخ بلده من الكسل العقلي والجمود الفكري، كما أنّه وازن بين طقس المغرب وجو الجزائر قائلا: "كان طقس الرباط أكثر لطفا من جو عاصمة الجزائر الرّطب"[2].

– التشبيهات اللغوية:

نجد أبو القاسم سعد الله قد استعمل الشيء الكثير من التشبيهات في النّص الرحلي قصد تأكيد الحوادث والمواقع وتوضيح المعنى، وقد جاء في هذا السياق قوله : " وتطل منه المنازل البيضاء الناصعة كأنّها بقايا كثبان الثلج في غابة من غابات الشمال"[3]، وكذلك قوله : " وعلى بعد رأينا القطار كأنّه خيط من الضوء يتحرك وسط الظلام الذي بدأ يلف الأفق البعيد"[4]، ففي هذه العبارات نجد السارد

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 219.
[2] المرجع نفسه، ص 215.
[3] المرجع نفسه، ص 235.
[4] المرجع نفسه، ص 235.

(سعد الله) قد شبّه المنازل البيضاء في شدة بياضها كالثلج المتساقط على غابات الشمال، أما المثال الثاني فقد شبه القطار من بعيد بخيط الضوء الذي يتحرك في دلس الظلام وقد بدأ يلف الأفق، وهذه التشبيهات الواردة في النّص الرحلي أسهم في بيان ووضوح دلالة النّص السردي، كما ساعده في جمالية الأسلوب وتقريب المشاهد والمواقف من ذهنية المتلقي.

– الإستعارة:

لقد تجلّت الصور البيانية بصورة أقلُ في الخطاب الرحلي لأبي القاسم سعد الله سواء في أسفاره للمغرب أو الجزيرة العربية، وممّا جاء في هذا قوله: " غضبت شمسه وكثف ضبابه واشتعلت حرارته"[1]، في هذا السياق يصور السارد حالة الجو الخائف في الرباط حيث شبّه الشمس بالإنسان وترك في ذلك قرينة تدل على هذا وهي (غضب) والذي أستعير من الإنسان وأطلق على الشمس للدلالة على شدّة الحرّ.

3– الضمائر:

يحفل النّص الخطابي لرحلة أبي القاسم سعد الله بالضمائر خاصة ضمائر المتكلم المفرد والجمع (نحن)، والذي أكسب الرحلة حيوية.

ضمير الجمع المتكلم	ضمير المفرد المتكلم
وصلنا، دخلنا، مررنا، توجهنا، جلسنا، تناولنا، رأينا.	اقتربت، رأيت، عرضت، خرجت.

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 239.

4- الشخصيات:

تعتبر الشخصيات من أبرز العناصر البنائية للسرد في الخطاب الرّحلي، وتُعدُّ رحلة أبي القاسم سعد الله رحلة واقعية معروفة من ناحية الأسماء والثقافة لكونها شخصيات من لحم ودم، وقد ركّز في المتن الرّحلي على شخصية واحدة وهي شخصية السارد باعتباره المحور التي تنطلق منه الأحداث والتي تحيلنا إلى شخصيات ثانوية.

4-1- الشخصية الرئيسية:

تُعدُّ الشخصية الرئيسية الأساس في سرد الأحداث فهي التي " تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما ولكنّها هي الشخصية المحورية"[1]، وعليه فإنّ رحلة أبا القاسم سواء التي كانت إلى بلاد المغرب أو الجزيرة العربية تتمركز شخصيتها الرئيسية في شخصية الراوي (سعد الله) باعتبار أنّها بنيت عليها الرحلة من خلال حضوره المكثف فيها وأثرها في توجيه الأحداث.

تظهر شخصية الراوي في الدكتور سعد الله فهي شخصية تتميز بالبحث العلمي كما أنّها شخصية اجتماعية مثقفة وقد حاول أبو القاسم سعد الله من خلال هذه الشخصية أن يكشف تفاصيل رحلاته من نقطة الانطلاق إلى نقطة الوصول.

[1] صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، 2006، ط1، ص: 131.

وما يؤكد هذا ما قام به من زيارات لمكتبات المغرب ولقاءه للأساتذة والباحثين حيث يقول: " توجهت إلى الخزانة العلمية (المكتبة الوطنية) بحثا عن المخطوطات التي جئت من أجلها.... كنت حريصا أثناء إقامتي بالمغرب على توفير كلّ وقتي للبحث الذي جئت من أجله"[1].

وهذا النّص يبين لنا شخصية الراوي الباحثة عن المخطوطات والتنقيب داخل المكتبات العامة وما يؤكد ذلك أيضا قوله: " ومنذ ذلك اليوم بدأت أطلب المخطوطات الجزائرية التي وجدت منها هناك ثروة لا تقدر بثمن وكنت أعرف أسماء بعض هذه المخطوطات من قبل كما أعرف أرقامها في الخزانة ولكن بعضها قد اكتشفته بعد ممارسة للبطاقات والتعرّف على ما تحتويه المكتبة من ذخائر ونوادر"[2]، كما نجد شخصيته لها دراية واسعة بالكتب وما يدل على هذا قوله: " ودخلت أتصفح بعض الكتب فوجدت نسخة مجلدة سليمة من كتاب (تحفة الأزر) للأمير محمد باشا في طبعته الأولى سنة 1903"[3]، وكذلك أثناء تنقله في مكتبات الحرم المكي والذي كان يبحث " عن موضوع كتابي (تاريخ الجزائر الثقافي) ولكن النّصوص والوثائق التي كنت أبحث عنها وخصوصا رحلة أحمد بن عمار ورحلة عبد الرزاق بن حمادوش لم أجد لها أثر"[4].

وهذا يدل على جهده الكبير وسعيه الحثيث في البحث عن الكتب التي تخدم بحثه فلا يكاد يترك مكتبة في المملكة العربية السعودية أو مركزا ثقافيا أو كلية أو مسجدا إلاّ ودخله باحثا، وهذا دليل واضح

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 215.

[2] المرجع نفسه، ص 215.

[3] المرجع نفسه، ص 215.

[4] المرجع نفسه، ص 252.

على أنّه كان يغتنم الفرص في التنقيب داخل المكتبات الموجودة في المدينة وغيرها حيث يقول في هذا الصدد : " اغتنمت فرصة من الوقت وذهبت رفقة بعض الأعضاء إلى مكتبة جامعة الرياض"[1].

كما نجد أبا القاسم سعد الله ذو شخصية محبة للطبيعة وجمالها، يتمتع بالمناظر في أرجاء المغرب ويظهر هذا في قوله : " وكان القمر على يميني طول الطريق يؤنسنا بتألقه وشموخه وكأنّه يتحدّى جميع الأضواء التي نمرّ بها باقيا على تقاليده شيخ النجوم ورفيق العاشقين"[2]، كما نجد سعد الله شخصية اجتماعية فهي تصف أحوال النّاس الاجتماعية والثقافية والسياسية وطبيعة عيشهم ويظهر هذا في قوله : " ومررنا بخانات عتيقة يسمونها (التربيعة) حيث كان يجلس المغاربة كما في العهود السالفة يشربون القهوة والشاي ويلعبون الورق..... ويلاحظ المرء وفرة البضائع وتنوعها ورخصها في المغرب كما يلاحظ رحابة صدور الباعة وتأدّبهم مع المشترين"[3].

كما نجده أثناء وجوده في الحجاز ومخالطته ومعاشرته للسعوديين وحسن الضيافة التي حظي بها من طرفهم، وأيضا لقاؤه بالعديد من الشخصيات والباحثين والأساتذة أمثال الشيخ حمد الجاسر وغيره، حيث قال : " راسلت الأستاذ الشيخ حمد الجاسر الذي يسمونه بحق علامة الجزيرة العربية .... التقينا وتناولنا أطراف الحديث في عدّة مناسبات في قاعدة المحاضرات.... وآخرها في الطائرة التي أقلتنا من الرياض إلى المدينة المنورة "[4]، وهذا يبين أنّ أبا القاسم سعد الله شخصية اجتماعية ثقافية محبة للعروبة

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 246.
[2] المرجع نفسه، ص 231.
[3] المرجع نفسه، ص 222.
[4] المرجع نفسه، ص 247.

وأهلها وتعاليم الدين الإسلامي وهذا ما نجده أثناء زياراته للأماكن المقدسة كما جاء على لسانه : " بقيت في مكة خمسة أيّام .... وفي مكة كما في المدينة عكفت على تحقيق أمرين الأول إشباع فضولي الديني والثاني إشباع نهمي العلمي وقد حققت الأوّل عن طريق مجاورتي للحرم بحيث لا أكاد اخرج منه إلاّ للضرورة ثمّ أنّني أجّرت سيارة حملتني إلى الأماكن الشهيرة مثل جبل حراء وعرفات ومنى ومزدلفة ونحوها"[1].

4-2- الشخصيات الثانوية:

لقد حرص أبو القاسم سعد الله في رحلاته على تعيين شخصياتها وبيان خصائصها الفكرية والثقافية، مع إبراز أهم أعمالها وأسمائها وتوضيح صورها ودورها وذلك عن طريق السرد والوصف وقد أبان الراوي (سعد الله) عن دور ووظائف هذه الشخصيات وذلك بتقديم المساعدات والإرشادات للشخصية الرئيسية والمتمثلة في الراوي.

ومن تلكم الشخصيات البارزة في رحلة أبي القاسم سعد الله شخصية عبد الكريم كريم، والذي يُعدُّ صديقا ومرشدا للرحالة في بيان الأماكن والمعالم المختلفة في بلاد المغرب، ومن ذلك قوله: " لم يبخل عليَّ الدكتور كريم بوقته وإمكانياته فقد تجول بي في حي السويقة المليء بالخضَر"[2]، ولم يكتف دوره هنا فقط بل تعدّاه إلى أن أوصى عليه القائمين على المكتبة العامة " لكن خدماته لي لم تنته عند ذلك الحد ففي

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص252.

[2] المرجع نفسه، ص 222.

صباح الغد حدثني مولاي الطّاهر في المكتبة بأنّ الدكتور كريم هتف له من الوزارة وأوصاه بي خيرا "[1]، كما زوده بالمخطوطات وماله صلة ببحثه، وإطلاعه على الكتب الموجودة في مكتبات المغرب، وقد ذكر هذا قائلا : " وقد مكنّني الدكتور كريم من عمل ثمين تقوم به الوزارة هناك وهو فهارس المخطوطات المغربية في مختلف المكتبات بالبلاد.....وقد أطلعني أيضا على نسخة من فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الإسكوبال (مدريد) وهي في ثلاثة أجزاء"[2].

ونجد كذلك شخصية عباس الجراري والتي برزت كدور مهمّ في بيان الأحوال الاجتماعية والثقافية لسكان المغرب حيث أتاح له " التعرّف على نواحي كثيرة من المغرب الثقافي والاجتماعي، بل إنّه بكرمه وعلمه سهل مهمتي ووفر علي الكثير من الأتعاب " [3]، ولم يكتف بهذا أيضا بل سهل عليه البحث عن المخطوطات وإطلاعه على معالم المدن المغربية " واقتضاني البحث الاطلاع على ما في المكتبة الملكية من مخطوطات حول موضوعي وخاطبت صديقي الجراري في ذلك فرافقني إلى هذه المكتبة الملكية، وفي إحدى الجولات عرج بي بسيارته على الأحياء الهامة من مدينة الرباط"[4].

وأثناء تواجده بالمكتبة الملكية ظهرت لنا شخصيات أخرى فنجد مثلا الأستاذ داود مدير المكتبة وأحمد العلوي نائب المدير والأستاذ محمد الروداني أحد المحققين للكتب والعاملين بالمكتبة، وهؤلاء قد رحبوا به وقدموا له يد العون في إنجاز مشروعه (تاريخ الجزائر الثقافي) حيث يقول: " وقد رحبوا بي أحرّ

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 222.
[2] المرجع نفسه، ص 225.
[3] المرجع نفسه، ص 225.
[4] المرجع نفسه، ص 226.

ترحيب وفتحوا لي أبواب المكتبة وأمر العمال بوضع جميع الفهارس تحت تصرفي بما في ذلك فهرسة المكتبة الزيدانية ودار الحديث بيّنا عن المكتبة وتنظيمها الجديد وعن الحركة الفكرية في الجزائر والصّلات الثقافية بين البلدين"[1].

أمّا في سفره للسعودية فقد أتاح له التعرف على العديد من الشخصيات والتي قامت بدور تقديم المساعدة له، كما أنّه حظي بحفاوة الاستقبال ومن تلكم الشخصيات الدكتور ناصر الرشيد وكذا الأستاذ حمد الجاسر، ولعل أبرز هذه الشخصيات التي التقى بها (البشير سعد الله) والتي وجد منها المساعدة وحسن الاستقبال وقد وضح هذا " والثلاثة الأخرى عند أخي البشير سعد الله المهاجر منذ أكثر من ربع قرن الذي لم أره طول هذه المدّة حتّى أنّه عندما رآني لم يكد يعرفني"[2].

وهذه الشخصيات (الثانوية) أدّت دورا مهمّا ومعينا فأسهمت في نسج السرد الرحلي وأثرت بالشيء القليل أو الكثير في مجرى الأحداث والمشاهد، ما جعل الرحلة تكتسي صورة صادقة عن الحياة الروحية والعقلية والاجتماعية.

5 – الحوار:

يعدُّ الحوار من الركائز الأساسية في النّصوص السردية ،كما أنّه أحد الآليات التي يعتمدها الخطاب الرّحلي في بناء تشكلها السردي، وقد أكّد على هذا عبد العليم علي بقوله : " يحفل الخطاب

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 220.

[2] المرجع نفسه، ص 251.

السردي الرحلي بمقومات حوارية بالضرورة لأنّ الرحالة يخترق الفضاءات والأمكنة والاجتماع"[1]، والحوار يتيح للشخصيات كي تظهر ظهورا حتى تعبّر عن نفسها بنفسها، وقد جاء أسلوب الحوار في بيان قيمة وهدف الرحلة، لكنّه اتّسم بالسطحية لأنّ الراوي (سعد الله) لم يهتم بانفعالات الأشخاص.

وعليه فإنّنا نلمس للحوار وجودا في رحلة سعد الله في بعض المواقف من ذلك ما جرى بينه وبين مفتش الحقائب في مطار المغرب، حيث رحبّ به أحسن ترحيب قال الدكتور سعد الله : " وعندما اقتربت من مفتش الحقائب سألني من أين؟ قلتُ من الجزائر، فقال بودّ: أهلا وسهلا تفضل!"[2]، وهذا عكس ما حدث له تماما عندما عزم السفر إلى جدّة سنة 1977م لما سأله الجمركي عن وجهته يقول في هذا الصدد :

" ولكن هذه المرّة سألني الجمركي: إلى أين أنت متوجه؟ فقلت له في نشوة وغبطة: إلى جدّة إن شاء الله، فقال ماعندك؟ فقلت حاجاتي الشخصية، فقال: افتح الحقيبة! ففتحتها....."[3]، كما جرى بينه وبين الأستاذ شحلان حوار أثناء تجوّلهما في صومعة حسان الشهير بتاريخ الرابع من أوت سنة 1973م، حيث قال : "كانت الشمس قد غربت ولم يبق في الأفق إلاّ الشفق، وطلع من الشرق القمر، وعلى بعد رأينا القطار كأنّه خيط من الضوء يتحرك وسط الظلام فقال صاحبي: إنّه قطار طنجة قادما إلى سلا، هكذا بدت لي الطبيعة وأنا واقف أمام المحيط على يميني ضريح وعلى يساري صومعة....

[1] عبد العليم محمد إسماعيل، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، عالم الخضرة 2018، مجلة زين، الدورة الثامنة، جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي، ص 27.

[2] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 206.

[3] المرجع نفسه، ص 237.

فاغرورقت عيناي ولاحظ صاحبي ذلك فقال: إنّك لم تنظر شيئا لو رأيت قصر الحمراء؟ ، إنّ المرء هناك يتفطر قلبه ويصاب بالخرس لقد أضعنا أشياء لا تعوض! فقلت هذا يكفي أنظر هنا! أنظر هناك! إنّي أعيش الآن في عصر آخر دعني أتأمل دعني!؟ "[1].

والشاهد في رحلات أبي القاسم سعد الله (رحلتي إلى المغرب، ورحلتي إلى الجزيرة العربية) أنّه قد اعتمد على الحوار الخارجي (الظاهر) الذي يدور بين شخصين فأكثر بطريقة مباشرة، كما أنّه لم يوظف الحوار الداخلي في رحلتيه (يعني الحوار مع نفسه)، وقد حقق الحوار في هذه المواقف والتي جرت مع أبي القاسم سعد الله:

أولا: على توفر الأحداث والوقائع.

ثانيا: تمثيل المشاهد التي وقعت له وتصويرها.

ثالثا: تزويد المتلقي بالمساحات المشهدية والدراية بالقصة والحكاية.

6- الوصف:

يمثل الوصف في الأدب الرّحلي مكانة رفيعة إذْ أنّه يعتبر تصويرا للحوادث وتجسيدها في مكان ما، والراوي يسعى لرسم الملامح للشخصيات أو إضاءات عن المواقع والأحداث، إذا فالوصف هو " تصوير انطباع حسي، والدلالة على مزج نفسي كما يحاول الواصف أن يجعل تلك الانطباعات الحسية أو

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 234-235.

الحالات الوجدانية مماثلة عند القارئ من ناحية حيويتها ومشابهتها للواقع"[1]، وعليه فإنّ أبا القاسم سعد الله سعى إلى تصوير كل ما وقعت عليه عيناه من المشاهد مازجا تلك التصورات والأوصاف بمشاعره وعواطفه ما جعلها تحقق المتعة والتشويق لدى المتلقي، وقد برع الراوي (سعد الله) في وصفه للشخصيات والكتب والمناطق التي جال فيها.

6-1- وصف الشخصيات:

قام الرحالة سعد الله بوصف وتصوير مختلف الشخصيات التي رآها والتقى بها أو جالسها أو صاحبها إذْ وصفها وصفا خارجيا ومعنويا، فاهتم بالمستوى التعليمي والثقافي والاجتماعي سواء على المستوى الداخلي أو ما يتعلق بالصفات المعنوية، والتي ترتبط بالأخلاق والتصرفات أو ما تعلق بصورتها الخارجية كاللون والطول والشكل الظاهري وهذا ما نجده في رحلة أبي القاسم حيث " رسم الصورة الخارجية للشخصية بكل مكوناتها الهندام، الهيئة ، العلامات الخصوصية وما إلى ذلك"[2].

فنجده قد وصف الأستاذ " عبد الله عنان المؤرخ المصري قائلا: " وأثناء وجودي في الخزانة العامة دخل شيخ طاعن في السن على رأسه قبعة رمادية (رغم الصيف) ويميل إلى القصر وعليه سمة المصريين إنّه الأستاذ عبد الله عنان المؤرخ المصري"[3].

[1] جرالدين برنس، قاموس السرديات، ص 43.

[2] ابراهيم بحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دار الآفاق، الجزائر، 1999م، ط1، ص 105.

[3] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 218.

كما نجده أيضا قد تعرض لوصف الأستاذ عبد السلام الفاسي حيث قال: "ورأيت وأنا في المكتبة شخصا كبير السن طويل القامة أبيض البشرة مرتديا ثيابا مغربية خفيفة بيضاء وحذاء أصفر، جالسا في ناحية منعزلة من القاعة وكان يرفع صوته إذا تحدّث"[1]، فهذا الوصف المادي الخارجي الذي اعتمد عليه أبي القاسم يعطي للقارئ أو السامع التخيل والتصور للشخصيات وكأنّه شاهدها معه وعايشها.

كما اهتم أبو القاسم سعد الله بالوصف العلمي والثقافي لكلّ شخصية قد التقى بها مثلا الآنسة داودي " ومن الجزائريين الذين التقيت بهم في المكتبة خلال القرن الماضي وأوائل الحالي لنيل شهادة دكتوراه الدرجة الثانية من جامعة الجزائر"[2]، كما أنّه ذكر الأستاذ محمد حجي أثناء لقاءه به فقال: " والأستاذ حجي يدرس التاريخ في آداب جامعة محمد الخامس وقد علمت أنّه كتب رسالة نال بها الدبلوم في التاريخ عن (الأزوية الدلائية) ودورها في تاريخ المغرب"[3].

6-2- وصف الأماكن:

اعتنى أبو القاسم سعد الله بوصف الأماكن بكلّ تفاصيلها باعتبارها النواة الأساسية التي تبنى عليها عملية السرد حيث يقدم لنا الراوي إشارات جغرافية عن الأماكن الذي تعيش فيه الشخصيات وكذا التعريف بالمناطق التاريخية والحضارية للبلاد التي زارها كالرباط والمدينة المنورة.

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 218.
[2] المرجع نفسه، ص 218.
[3] المرجع نفسه، ص 219.

ولما وصل الرحالة إلى المغرب أو الجزيرة العربية أخذ يصف لنا كلّ المناطق، فمثلا لمآ كان متّجها من الدار البيضاء إلى الرباط أخذ يصف كل ما شاهده في طريقه حيث يقول: " وكانت الساعة تشير إلى الثامنة والنصف عندما تحركت السيارة من الدار البيضاء في اتجاه الرباط، وقد سقط الليل وبدأت أنوار المدينة تتلألأ بعضها يشكل أسهما وبعضها يشكل دوائر وبعضها ينافس نجوم الليل أو بروق العواصف واللغة العربية تنافس الفرنسية وكانت الألوان المتعدّدة والأشكال الهندسية المتنوعة تكاد تخطف الأبصار"[1]، وهذا الوصف لمآ وقف على مشهد المدينة ورأى جمالها الليلي.

كما برع الراوي (سعد الله) في وصف جامع السنّة الموجود في الرباط قائلا فيه: "هو جامع ضخم وحديث مبني على الطراز الأندلسي المغربي.....ويضاء هذا الجامع ليلا كما تضاء صومعته العالية فيرى من بعيد كأجمل ما تكون الرؤية.... ويوجد على يمين هذا الجامع ثانوية مولاي يوسف (اليوسفية) وعلى جنبات هذا الجزء من شارع (محمد الخامس) عدد من المنشآت الإدارية والتجارية..... وفي وسط الشارع حدائق غناء تكسوها الخضرة وتعلوها الأشجار الباسقة"[2]، وهذا يبين لنا أنّ الرحالة قدم لنا وصفا مستفيضا لعدة مناطق مرّ بها أو رآها مما منح النص الرحلي مصداقية وجمالا.

6-3- وصف الكتب:

كان ديدن الراوي البحث عن المخطوطات والكتب وقد وصف تلك الكتب التي رآها في مختلف المكتبات والتي وقعت بين يديه أو التي أهديت له من طرف رجالات العلم والثقافة، فقد أهدى له

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 222 .

[2] المرجع نفسه، ص 222.

الدكتور (عباس الجراري) بعض الكتب " وما أهداني كتابه عن (الزجل في المغرب) القصيدة التي نال بها شهادة الدكتوراه في الآداب من مصر وطبعت 1971 في 715 صفحة ثم تتالت علي كتبه وأبحاثه من وحي التراث وموشحات مغربية"[1].

كما أنّه تعرض لبعض الكتب بإسهاب كبير من حيث الطبعة والتاريخ فيقول في ذلك : " تحدث زميلي كريم بحماس عن كتاب (عبد العزيز الفشتالي) الذي حققه ونشره بعنوان (مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرف) وقد أهداني نسخة منه وهو من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة لسنة 1973 ويقع في 307 صفحات بدون فهارس، وقد كتب له مقدمة في 24 صفحة وفي الكتاب أخبار كثيرة عن العلاقات الجزائرية المغربية....."[2]، إضافة لهذا نجده أيضا قد تطرق إلى وصف الثمن الزهيد للكتب في بلاد المغرب فقال: " دخلت أتصفح بعض الكتب فوجدت نسخة مجلدة سليمة من كتاب (تحفة الأزر) للأمير محمد باشا في طبعته الأولى 1903 وسألت عن الثمن فقيل لي خمسة وعشرون درهما، وهذا في الواقع ثمن زهيد بالنسبة لقيمة الكتاب"[3]، وهذا الكم الهائل من المخطوطات والكتب التي قام الرحالة بوصفها ما هي إلاّ نماذج قليلة لأنّ أبا القاسم لو أسهب في ذكرها وما وقعت عليه يداه خلال رحلته لأثقل على القارئ.

وقد اعترف بهذا قائلا: " ولعلي لو ذكرت هنا كلّ ما وقعت عليه عيناي من كتب الرحلات والتاريخ والآداب خلال رحلتي لأثقلت على القارئ وحسبي هذه العجالة أمّ ما طالعته أو قيدته على

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 219.
[2] المرجع نفسه، ص 220.
[3] المرجع نفسه، ص 223.

الجزائر بأقلام جزائريين فحدث عن البحر ولا حرج"[1]، ونجده أيضا لما وقف على أبواب المسجد النبوي ووصف نفسه وهو يسير على ترابها " ولم أكن أصدق أنّني أسير على تراب المدينة وأنظر إلى جبالها ونخيلها وعمرانها.... وبعد أن اغتسلنا وغيرنا ملابسنا توجهنا فورا إلى الحرم فأدينا حق المسجد وحق قبر الرسول صلى الله عليه وسلم "[2].

7- الزمن:

يعتبر الزمن أحد المحاور الجوهرية للرحلة فهو " يوضح شكل الوحدة السردية، إذْ أنّ السرد يصبح شرطا للوجود الزمني"[3]، بمعنى أنّ الزمن المحرّك للرحلة وعليه فإنّ الزمن قد شمل العديد من التفاصيل التّي تتعلق بالسفر والرحلة منذ الانطلاقة الأولى إلى بلوغه غاية الوصول للمكان المراد.

وهذا ما تظهره رحلة أبي القاسم سعد الله حيث يبدوا واضحا فقد وظف الزمن منذ انطلاقه من بلده إلى البلاد التي توجّه إليها حيث قال: " زرت المغرب لأول مرة خلال الصيف الماضي من 29 يوليو إلى 19 أغسطس 1973"، وقد استغرقت الرحلة على طائرة البوينغ التونسية بين مطار الدار البيضاء بالجزائر ومطار النواصر بالمغرب ساعة وربعا"[4].

نلاحظ أنّ سعد الله لم يغفل عن ذكر الوقت والزمن الذي سافر فيه للمغرب وهذا ما يؤكد تحديده لهذا الزمن الدقيق إلى قصر المسافة الزمنية بين الرحلة والتأليف، كما أنّه حدد هذا لمّا سافر أيضا إلى

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 220.
[2] المرجع نفسه، ص 248.
[3] محمد صابر عبيد، فضاء الكون السردي، جماليات التشكيل القصصي الروائي ص 121.
[4] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 222.

الجزيرة العربية فقال: " كان سفري يوم 21 أبريل صباحا سنة 1977....وصلنا مطار جدّة حوالي الحادية عشر والربع مساءً بالتوقيت المحلي وهو وقت متأخر بالنسبة للمطار"[1]، يبين لنا هذا النص زمن الانطلاق في الرحلة والذي يبدوا ظاهرا وواضحا من حيث اليوم والشهر والسنة ومحدد بالفترة الصباحية هذا من جهة ومن جهة أخرى يظهر لنا زمن الوصول في الفترة المسائية، والشاهد من هذا أنّ أبا القاسم سعد الله لم يغفل عن ذكر الوقت الذي انطلق فيه أو وصل فيه.

كما نجده قد حدد أيضا وقت الانطلاق لما وصل إلى جدّة إلى الرياض حيث قال: " وحوالي الساعة السادسة توجهت بنا الطائرة العمومية في أول رحلة صباحية لها إلى الرياض .... وقد استغرقت حوالي ساعة"[2]، كما ذكر لنا زمن مغادرته من جدّة وسفره إلى القاهرة في قوله: " ويوم الخميس من مايو 1977 صليت الصبح في الحرم المكي مع أخي ثم اكتريت سيارة حملتني إلى جدّة رفقة زميلي المغربي الدّكتور عبد الكريم كريم وفي أقل من ساعة كنا في جدّة حوالي الساعة السابعة ولكننا بكرنا فوصلنا حوالي السادسة[3].

وهذا يظهر لنا أنّ أبا القاسم قد حدد لنا أثناء سيره من جدّة إلى المطار الدولي الوقت المستغرق للمطار والمقدر بـ أقل من ساعة.

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 237.
[2] المرجع نفسه، ص 238.
[3] المرجع نفسه، ص 254.

8- المكان:

يشكل المكان حلقة مهمة في بناء الخطاب الرحلي وهو الإطار العام لعملية السرد الذي ينطلق منه الحدث وتدور عليه الشخصيات ويتكون مكان الرحلة من: مكان الانطلاق ومكان الوصول.

8-1- مكان الانطلاق:

يُعدُّ الانطلاق النقطة الأولى لبداية الرحلة فهو يبدأ منه وينتهي إليه ويظهر هذا التعبير في رحلة أبي القاسم سعد الله في قوله : " وكانت الطائرة قد حلقت بنا فوق سحب كثيفة أخذت في الإنقشاع كلما توغلنا في اتجاه الغرب....ثم حوالي منتصف الطريق انحرفت إلى اليسار وتعمقت في المناطق الداخلية بالمغرب"[1].

وقد زار أماكن في بلاد المغرب لما وصل إليها وجسدت فيها المكانية فقال مثلا في زيارة المكتبة "توجهت إلى الخزانة العامة (المكتبة الوطنية) بحثا عن المخطوطات التي جئت من أجلها....وكانت الخزانة العامة تقع بالقرب من كلية الآداب بجامعة محمد الخامس....إلى جانب قسم المطبوعات يوجد قسم الوثائق"[2]، وهذا يدل أنّه قد اهتم بذكر كلّ الأماكن الأثرية والمناطق التي مرّ بها والمكتبات التي دخلها وهذا ما نجده في قوله : " اهتممت بشيئين الأول التعرف على الأماكن الأثرية ....أمّا الشيء الثاني فهو المكتبات"[3].

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 214.
[2] المرجع نفسه، ص 213.
[3] المرجع نفسه، ص 249.

كما حدد لنا بعض الأماكن لمآ عزم على السفر من خلال قوله: " والطائرة التي أقلتنا من مطار الجزائر للسعودية كانت قادمة من المغرب"[1]، وهذا يعني أنّ المكان الذي انطلق منه سعد الله هو الجزائر ولمآ وصل السعودية وجاب بعض المدن اكتشفها أنّها صحراوية تذكّر بعض المدن الجزائرية التي تُعدُّ بوابة للصحراء أو تُعدُّ مدن صحراوية فقال: " وهي تذكرك ببعض مدن الصحراء الجزائرية مثل بسكرة وبوسعادة[2].

كما نجده قد ذكر لنا بعض الأسواق التي دخلها " فقد دخلت أحد الأسواق العامة (سوبر مارشي) فإذا فيه كل شيء على الطريقة الأوروبية والأمريكية"[3]، وهذا أثناء زيارته للرياض بالمملكة العربية السعودية وقد تطرق أيضا إلى ذكر بعض الفنادق التي قصدها في مدينة الرياض، فندق (زهرة الشرق) والذي وجد فيه الراحة والسكينة على الرغم من التعب ومشقة السفر " وشعرنا رغم التعب أنّنا قد أصبحنا في أيدي آمنة قادتنا إلى سيارات كانت في انتظارنا فتوجهت بنا إلى فندق زهرة الشرق حيث نزلنا فيه"[4].

[1] أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، ص 238.
[2] المرجع نفسه، ص 245.
[3] المرجع نفسه، ص 246.
[4] المرجع نفسه، ص 246.

خاتمـــة

وفي ختامنا لهذا البحث نتوجه إلى الله تعالى بالدعاء والشكر على أن وفقنا لإكمال هذه الرسالة، وعليه فإنّه قد توصلنا من خلال ما سبق بيانه إلى أهم النتائج المستخلصة والمستنتجة من بحثنا لهذه الرسالة (مكونات السرد التاريخي في أدب الرّحلة) وهذه أهمّها:

- تُعدُّ الرحلة نص سردي يُدرس في إطار السرديات.

- الرحلة هي عبارة عن التنقل والحركة والسفر لاكتشاف معالم جديدة من مختلف اللغات والأجناس.

- الرحلة متعددة الأغراض والغايات منها الدينية كالارتحال للحج أو زيارة المقدسات الإسلامية أو الرحلة في طلب العلم، وأغراض سياسية....

- يهتم الرحالون بدراسة خط الرحلة وأحداثها البرية والبحرية والمعالم الجغرافية.

- الرحلة هي عبارة عن تأليف نثري يصور الأحداث والوقائع التي جرت مع الرحالة.

- تُعدُّ رحلات أبو القاسم سعد الله رحلات ممتعة جدا في وصفه للبلدان العربية التي سافر إليها (المغرب ومدنها، والسعودية) وما جرى له فيهما ووصف كل ما شاهده من أحوال هذه البلاد وما فيها من كنوز وآثار كما بالأماكن والمكتبات التي زارها وصور المدن التي جاب فيها أثناء رحلاته تلك.

- أسفر أدب الرحلات لدى سعد الله الأديب عن سمات لافتة كدقّة الملاحظة واستيعاب المشهد الموصوف أو الموضوع المعبّر عنه بمهارة ظاهرة، إلى جانب شساعته الأدبية في تسجيل الوقائع وإبداء الرأي بموضوعية بالرغم من حساسية بعض المواقف.

– قدرة أبو القاسم سعد الله على تصوير المشاهد المثيرة للعواطف والتأثير إيجابا وسلبا متكئا في ذلك على السرد والحكي.

– لقد كان اهتمام سعد الله في هذه الرحلات وشغله في البحث عن المخطوطات والكتب النادرة وجمع المعلومات ممّن لقيهم أو صادفهم في رحلاته من أجل إتمام مشروع بحثه المتعلق بتاريخ الجزائر الثقافي.

– يُعدُ السرد العمود الفقري للخطاب الرحلي فالكتابة الرحلية لا تنفصل عليه.

– تُعدُّ شخصية أبي القاسم سعد الله موسوعة علمية في التاريخ والدين وغيرها.

– لقد نوع أبو القاسم سعد الله في الشواهد في الخطاب الرحلي، ممّا أدّى إلى دقة الأحكام التي يصرح بها والسمة الغالبة في منهج سعد الله أنّه لا يكتفي بعملية السرد التاريخي للرحلة بل تجاوز إلى أبعد ذلك بحيث يصف الظروف الاجتماعية والسياسية والإقتصادية.....

– ترتكز بنية الزمان السردي في الرحلة على بنية الأحداث وعلى بنية الزمن السردي.

– تزخر رحلة أبي القاسم سعد الله بالقيم الثقافية والفكرية والاجتماعية.

– من خلال رحلة أبي القاسم سعد الله يظهر لنا أنّ شخصيته تمتلك الروح العلمية وأدبية التأريخ للأحداث والوقائع.

الملحـــق

1- نبذة عن حياة أبي القاسم سعد الله:

"ولد المؤرخ والأديب والناقد أبو القاسم سعد الله سنة 1930م في قرية (قمار) من وادي سوف الجزائر"[1]، يقول عن مولده " أنّه من مواليد حوالي سنة 1930م وأقول حوالي لأنّه آنذاك لم يكن هناك ما يعرف حاليا بالنقمة (النكوة) لذلك فهم قدروا عمري تقديرا "[2].

وأُشتهر في الساحة العلمية باسم (أبي القاسم) أمّا اسمه الحقيقي (بلقاسم) مصرحا ذلك قائلا: " أحمد هو اسم والدي.....أمّا اسمي فهو بلقاسم أمّا أبو القاسم فكنت أنا من استعمله مع الأدبيات وأحيانا ظهرت بعض مؤلفاتي أو مقالاتي القديمة تسمية (القماري) نسبة إلى بلده (قمار) بولاية وادي السوف بمنطقة (البدوع) التي تعود تسميتها إلى (الإبداع) حسب رأي سعد الله ممّا قد يوحي بشخصيته المبدعة وشغفه بالإبداع والإصلاح والتفاني في خدمة وطنه "[3].

نشأ في عائلة أرهقها الفقر والحرمان محافظة على المبادئ الدينية والقيم الأخلاقية متحلية بالصبر، وتعيش على الفلاحة بوسائل بسيطة عادية في ظروف قاسية فمرارة عيشهم هذه ذاقها كل جزائري أثناء الوجود الاستعماري على الأراضي الجزائرية.

[1] شريط أحمد شريط وآخرون، معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، مخبر الأدب المقارن العام، جامعة باجي مختار، عنابة، ص 22.

[2] حفيظة زين، النقد الأدبي في آثار أبي القاسم سعد الله، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث والمعاصر، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، قسنطينة، الجزائر، 2015/2014، ص 13.

[3] المرجع نفسه، ص 13-14.

2– تعلّمه:

أخذ العلوم في قرية قمار بمسقط رأسه فأخذ " دروسه الأولى في اللغة العربية وعلومها وحفظ القرآن الكريم"[1]، "كان يطلق عليه الناقد الصغير، كما درس بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في القاهرة وحاز على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962م"[2]، ثم التحق بجامعة الزيتونة في تونس سنة 1947م وتحصل على شهادة الأهلية سنة 1951م.

التحق في أواخر سنة 1960م بأمريكا للدراسة في جامعة مينسوتا بقسم التاريخ التي قضى بها حوالي خمس سنوات تحصل خلالها على شهادة الماجستير في التاريخ والعلوم السياسية سنة 1962م وعلى شهادة الدكتوراه في نفس الجامعة في التاريخ الحديث والمعاصر باللغة الإنجليزية سنة 1965م.

3– منابع ثقافته:

– " تواجد سعد الله بتونس واحتكاكه بأدبائها وشعرائها الشباب جعلهم يكوّنون رابطة أدبية القلم الجديد"[3] .

– وخلال دراسته بتونس بدأ النشر في جريدة (النهضة) و (الأسبوع) التونسيتين والبصائر الجزائرية والآداب اللبنانية.

[1] سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص 96.

[2] عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، الدار القومية للطباعة، القاهرة، 1961، ص 678.

[3] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2006، ط2 ص157.

– اتصاله بشعراء مصر المتمردين أمثال: صلاح عبد الصبور....مكنه من تكوين علاقات أدبية وإعجابه بنزار قباني، ومتابعة أعمال نازك الملائكة والسيّاب أكسبه خبرة في مجال الشعر"[1].

– " غنى معجمه اللغوي بالألفاظ والتراكيب الرومانسية "[2].

4– آثاره العلمية:

– موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي (مجلدات، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م).

– النصر للجزائر (شعر) دار الفكر، القاهرة، 1957م

– ثائر وحب (شعر) دار الآداب، بيروت، 1967م.

– الزمن الأخضر، ديوان سعد الله، الجزائر، 1985م.

– سعفة خضراء، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1986م.

– شعوب وقوميات 1985م.

– حكاية العشاق في الحب والاشتياق، رواية، تحقيق 1983م.

– أشعار جزائرية تحقيق 1988م.

– حياة الأمير عبد القادر ترجمة وتقديم الدار التونسية 1974م.

[1] محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 158.

[2] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 51.

- محمد الشاذلي القسنطيني، الشركة الوطنية، الجزائر 1976م.

- دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الآداب، بيروت.

- تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1982م.

- بحوث في التاريخ العربي الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.

- محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط1، مصر 1970م.

- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية، الجزائر، 1978م.

- المفتي الجزائري ابن العنابي، رائد التجديد الإسلامي، الشركة الوطنية، الجزائر، 1977م.

- الحركة الوطنية الجزائرية (4 أجزاء) دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1969م.

- تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية 1981م.

5- وفاتـه :

" لقد وافته المنية رحمه الله عن عمر يناهز 83 سنة يوم السبت 14 ديسمبر 2013م بمستشفى عين النعجة إثر مرض عضال ألزمه الفراش "[1].

[1] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص 51.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1. إبراهيم بحراوي، تحليل الخطاب الأدبي، دار الآفاق،ط1، الجزائر، 1999م.
2. ابراهيم بحراوي، السرد العربي القديم، الأنواع والوظائف والبنيات، دار العربية للعلوم،ط1، الجزائر، 2008.
3 . أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين بوعمر، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2005.
4. أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية،ط1، القاهرة، 1366هـ.
5. أحمد بن فضلان، رحلة ابن فضلان، (رسالة ابن فضلان) تحقيق سامي الدّهان، دار الهاشمية، دمشق، 1960.
6. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ج3، الجزائر، 1982.
7. أحمد طالب، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، دار الغرب،وهران.
8. أحمد عبد الكريم الخفاجي، المصطلح في النقد الأدبي العربي الحديث (رسالة ماجستير في آداب اللغة العربية)، كلية التربية، جامعة بابل ، العراق، 2003.
9. آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي، دت، م ر و ك، ج2 الجزائر، 1986.
10. إسماعيل العربي، دور المسلمين في تقدم الجغرافية الوصفية والفلكية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994.
11. أيمن بكر، السرد في مقامات الهمذاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998، ص 56.
12. بركات وائل، تقنيات السرد، عالم المعرفة، 2018.
13. بول ريكور، الوجود والزمان والسرد، ترجمة سعد الغانمي، دار النشر المركز الثقافي الغربي،ط1، بيروت، لبنان، 1999.
14. ثريا شرف، الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1993.

15. جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي،ط3، بيروت، لبنان، 1992.

16. جبّور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، 1984.

17. جمال الدين بن منظور الأنصاري، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، ط1، ج6، بيروت، لبنان، 2005.

18. جورج غريب، أدب الرّحلة وتاريخه وأعلامه، دار الثقافة، ط3، بيروت، لبنان، 1979.

19. جيرالديس، قاموس السرديات، ترجمة السيد إمام، دار الميراث،ط1، القاهرة، مصر، 2003.

20. حبيب مونسي، فعل القراءة النشأة والتحول، دار الغرب، وهران، 2000/ 2001.

21. حسن بصحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، لبنان، 1990.

22. الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعتين في الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

23. حسني محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس،ط1، بيروت، لبنان، 1983.

24. حسين محمد فهيم، أدب الرّحلات، سلسلة عالم المعرفة 138، المركز الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1989.

25. حسين نصار، أدب الرحلة، إشراف محمود علي مكي، دار نوبار للطباعة،ط1، القاهرة، مصر، 1991.

26. عبد الحميد بورايو، منطق السرد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

27. عبد الحميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، دار المركز الثقافي العربي،ط3، المغرب،2000.

28. عبد الرحيم المودن، الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد، دار السويدي،ط1، أبو ظبي، 2006.

29. عبد الرحيم المودن، الرحلة في الأدب المغربي (النص، النوع، السياق)، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2006.

30. عبد الرزاق حسين، فن النثر المتجدد، دار العلم والثقافة،ط1، المملكة العربية السعودية،1998.

31. رولان بارت وآخرون، شعرية المسرود، ترجمة عدنان محمود محمد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2010.

32. ساسين سيمون عساف، الصورة ونماذجها في إبداع أبي نواس، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،ط1، لبنان، 1982.

33. سعيد الوكيل، تحليل النص السردي، المعارج لابن عربي أنموذجا، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998.

34. سعيد يقطين، الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي،ط1، المغرب.

35. سميرة أنساعد، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري الحديث، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.

36. شريط أحمد شريط وآخرون، معجم أعلام النقد العربي في القرن العشرين، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، مخبر الأدب المقارن العام، جامعة باجي مختار، عنابة.

37. شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، رؤية،ط1، القاهرة، 2006.

38. صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمان منيف، المركز الثقافي العربي،ط1، المغرب، 2003.

39. صبيحة عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي،ط1، عمان، الأردن، 2006.

40. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النّص، الشركة المصرية العالمية للنشر،ط1، لونجمان، 1996.

41. صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2003.

42. عبد الصمد زايد، مفهوم الزمن ودلالته في الرواية العربية المعاصرة، دار العربية للكتاب، ليبيا، 1988.

43. عبد العزيز عبد المجيد، اللغة العربية أصولها النفسية وطرق تدريسها، دار المعارف، ط1، 1986.

44. علي بن الحسن المسعودي، مروج الذّهب ومعادن الجواهر، دار الملكية العصرية،ط1،ج1، بيروت، لبنان، 2005 .

45. عليمة قادري، رحلة السرد السندباد يعود من بعيد، دار الكتاب،ط1،عنابة، الجزائر، 2013.

46. عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث مكونات السرد،دار هومة،ط1، الجزائر، 2014.

47. غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هاسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر،ط2، بيروت، لبنان، 1984.

48. عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، دراسة في الرواية المصرية، مكتبة الشباب، القاهرة، 1987.

49. فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب،ط2 ،القاهرة، مصر، 2002.

50. فواز الشعار، الموسوعة الثقافية العامة، إشراف إميل بديع يعقوب، دار الجيل،ط1، بيروت، لبنان، 1999.

51. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ضبطه يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2008.

52 . أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب،ط1، الجزائر،1983.

53. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

54. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق وتعليق محمود شاكر، دار المدني،ط1، جدة، المملكة العربية السعودية،1991.

55. قسومة الصادق، طرائق تحليل القصة، دار الجنوب للنشر، تونس، 2000.

56. لطيف زيتوني، معجم المصطلحات نقد الرواية، دار النهار، ط1،بيروت، لبنان، 2002.

57. عبد الله إبراهيم، المحاورات السردية، دار الأمان،ط1، الرباط، المغرب، 2011.

58. عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، بيروت، لبنان، 2005.

59. عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، الدار القومية للطباعة، القاهرة، 1961.

60. عبد الله رضوان، البنى السردية، دار الكندي،ط1، 1995.

61. عبد المالك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، دار الغرب، وهران، 2005.

62. عبد المالك مرتاض، الكتابة من موقع العدم مسائلات حول نظرية الكتابة، دار الغرب، وهران، 2003.

63. عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

64. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، دار الغرب، وهران، 2005.
65. عبد المتعال الصعيدي ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، دار النشر، مكتبة الآداب،ط17، القاهرة، مصر،2005.
66. مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان،ط2، بيروت، 1984.
67. محمد أمين فرشوخ، موسوعة عباقرة الإسلام، دار الفكر العربي،ج1، بيروت، لبنان، 1996.
68. محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق عبد الكريم العزباوي، دار المصرية للتأليف والترجمة،ج7، القاهرة، 1967.
69. محمد بن سعود العبدري، ماء الموائد، تحقيق علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين،ط2، دمشق،2005.
70. محمد بن سعود بن عبد الله الحمد، موسوعة الرحلات العربية، دار الكتب الوثائق القومية،ط1، القاهرة، مصر، 2007.
71. محمد بن عبد الله بن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم،ط1، بيروت، لبنان، 1987.
72. محمد زغلول سلام، دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها واتجاهاتها، منشأ المعارف، مصر.
73. محمد صابر عبيد، فضاء الكون السردي، جماليات التشكيل القصصي الروائي.
74. محمد الصالح رمضان، من وحي الرحلة، دار الحضارة للطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، 2007.
75.محمد عبد الغني، التراجم والسير، دار المعارف،ط3، القاهرة، بدون تاريخ.
76. محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، 2005.
77. محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي،ط2، بيروت، لبنان، 2006.
78. مخلوف عامر، التوظيف التراثي في الرواية الجزائرية، دار الأديب،ط1، الجزائر، 2005.
79. مريم فرنسيس، في بناء النص ودلالاته، (نظم النّص التخاطبي)، دار وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2001.

80. ناصر عبد الرزاق الموافي، الرحلة في الأدب العربي حتى القرن 4هـ، مكتبة الوفاء،ط1، القاهرة، مصر، 1995.

81. نبيلة إبراهيم، فن القصة بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، 1956م.

82. يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي،ط1، بيروت، لبنان، 1990.

دوريـــات

1. المسعود جوادي وعيسى بريهمات، المدن الصحراوية الجزائرية في أدب الرّحلة الفرنسي بين التصوير والتنميط مدينة الأغواط نموذجا، مجلة أبوليوس، أفلو، الجزائر، جانفي 2022، العدد 01، ج9، ص 81.

2. طلال خليفة سلمان، مستويات السرد القرآني، مجلة التراث، النجف، العدد 02، ذو القعدة 1434هـ، ص 292.

3. عبد العليم محمد إسماعيل، تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، عالم الخضرة 2018، مجلة زين، الدورة الثامنة، جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي، ص 27.

4. محمد بن محمد، الرّحلات الاستكشافية، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2003، العدد 20، ص158.

5. محمد عزلاوي، التوليف بين الرّحلة والسيرة الذاتية ، الأدب المغربي القديم نموذجا، مجلة الواحات للبحوث والدّراسات، الجلفة، الجزائر، 2012، العدد 16، ص 40.

6. نبيل راغب، بين المناجاة و والمونولوجا، مجلة فيصل، دار فيصل للثقافة، المملكة العربية السعودية، 1985، العدد 100، ص 75.

مخطوطات

1. حفيظة زين، النقد الأدبي في آثار أبي القاسم سعد الله، بحث لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث والمعاصر، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، قسنطينة، الجزائر، 2015/2014.

مواقع إلكترونية

Tz vetan todrov et or wald ducrot.dictionnair encyclopidique des sciences de langage. du seuil paris, 1972, p 193-1

http: www.k128.com/books/print?bid=174&pno=2موقع

نقلا عن محمد حاتمي في خطاب أدب الرحلة، مجلة فكر ونقد العدد 87، السنة التاسعة، مارس 2007، ص52.

فهرس الموضوعات

مقدمـة

مدخل أدب الرحلة النشأة والتطور

التعريف بأدب الرحلة.....2

إشكالية أدب الرحلة.....3

الرحلة المسار والتطور.....6

1-القرن الأول الهجري.....6

2-القرن الثالث الهجري.....7

3-القرن الرابع الهجري.....7

4-القرن الخامس الهجري.....9

5-القرن السادس الهجري.....9

بواعث أدب الرحلة.....12

1-الباعث السياسي.....12

2-الباعث الديني.....13

3-الباعث العلمي.....14

4-الباعث الإقتصادي.....14

5-الباعث الاستكشافي.....15

خصائص أدب الرحلة.....16

الفصل الأول: البنية السردية في الخطاب الرحلي الحديث

المبحث الأول: مكونات البنية السردية في الرحلة.....19

السرد.....19

1-مفهوم السرد.....21

2-أنواع السرد.....22

2-1- السرد الذاتي.....22

2-2-السرد الموضوعي.....23

3-وظائف السرد.....23

4-عناصر السرد.....26

4-1-الشخصيات.....26

4-2-الشخصية والشخص.....27

5-أنواع الشخصيات.....28

5-1-الشخصية المدورة.....29

5-2-الشخصية المسطحة.....29

5-3-الرواي.....30

5-4-المروي.....31

5-5-الحدث.....31

5-6-اللغة.....33

5-7-الزمن.....34

5-8-الفضاء.....36

أنواع الفضاء المكاني.....38

الوصف.....40

الإستطراد.....42

المبحث الثاني: أشكال التعبير وألوان القص في الخطاب الرحلي.....42

1-السيرة الذاتية.....44

2- الحوار.....45

3-التصوير.....48

4-الخيال.....49

الفصل الثاني: دراسات تطبيقية في رحلة أبي القاسم سعد الله تجارب في الأدب والرحلة

1-السرد.....54

2-اللغة والأسلوب.....61

أسلوب الاستفهام والتعجب.....62

الجمل الفعلية.....62

التشاكل اللفظي.....63

التقابل.....63

الموازنة.....64

التشبيهات اللغوية.....64

الإستعارة.....65

3-الضمائر.....65

4-الشخصيات.....66

4-1-الشخصية الرئيسية.....66

4-2-الشخصيات الثانوية.....69

5-الحوار.....71

6-الوصف.....73

7-الزمن.....78

8-المكان.....80

الخاتمة.....83

الملاحق.....86

قائمة المصادر والمراجع.....91

فهرس الموضوعات.....99

ملخص

يُعدُّ أدب الرّحلة من أبرز الفنون الأدبية في الدّراسات النقدية والأدبية، لما تشتمل عليه من مزايا في نقل الأحداث وتصوير المشاهد عبر مختلف الأزمنة والعصور، ولذا فهي تقوم على مكونات سردية تجسّده في الخطاب الرحلي من الأحداث والشخصيات والزمان والمكان.....ويتّضح لنا هذا من خلال بحثنا الموسوم بـ " المكونات السردية في رحلة أبي القاسم سعد الله" والذي وقفنا أثناء معالجتنا لأدب الرحلة والتجارب التي مرّ بها الرحالة أبو القاسم سعد الله أثناء سفره في بلدان شتى وأبرزها المغرب والجزيرة العربية.

Absract

The literature of the journey is one of the most prominent literary arts in critical and literary studies, because of its advantages in transmitting events and photographing scenes through different times and ages, and therefore based on narrative components embodied in the nomadic discourse of events, characters, time and place..... This is illustrated by our research, which is marked by "narrative components in abu al-Qasim Saadallah's journey", which we stood by while dealing with the literature of the journey and the experiences experienced by the traveller Abu Qasim Saadallah while traveling in various countries, most notably Morocco and the Arabian Peninsula.